الأمن المجتمعي

تقديم ومشاركة

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

الأمن المجتمعي

تقديم ومشاركة
د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى
للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

[سورة ص: الآية ٢٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

الحمـــد لله رب العالمـين، والصلاة والســـلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الأمن نعمة من أعظم نعم الله ﷻ على خلقه، حيث يقول نبينا ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا».

ولا يمكن أن يتحقق أمن الفرد بمعزل عن أمن المجتمع، فأمن الدول عملية تكاملية تشاركية بين جميع أبنائها، حيث لا يمكن لأي منهم أن يوفر الأمن لنفسه وأسرته بمعزل عن أمن المجتمع، فهناك حماية الحدود، وحماية الدولة من

الأعداء، وحماية الأمن الداخلي، وحماية المال والعرض، وحماية المرافق العامة.

وهناك لون من ألوان الحماية لا يقل أهمية عن كل ما ذكر، وهو الحماية الاجتماعية التي تقوم على التكافل والتراحم، وقد عني ديننا الحنيف أيما عناية بهذا الجانب الإنساني، ففرض الزكاة، وحث على الصدقات، وشرع الوقف وشجع عليه، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦١]، ويقول ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٤٥]، ويقول سبحانه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ

﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٧٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سورة سبأ، الآية ٣٩]، ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ».

ويتناول هذا الكتاب بما يضمه من بحوث قَيِّمة قضية الأمن المجتمعي تناولًا علميًّا رصينًا، حيث يضم نخبة مختارة بين أهم البحوث التي قُدِّمت لمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في دورته العشرين، وكان تحت عنوان «مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام»، مع نسبة كل بحث منها إلى كاتبه بمنتهى الأمانة العلمية، وشرفت بأن شاركت هذه النخبة العظيمة من العلماء

في هـذا الكتـاب بمبحث بعنـوان: «حديث القـرآن الكريم عـن الأمـن»، سـائلين المـولى ﷻ أن يتقبـل هـذا العمـل، وأن يجـزي كل مـن أسـهم فيه ببحـث، أو جهـد، أو تنظيم لذلكـم المؤتمـر، أو أشرف عليـه خـير الجزاء.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

حديث القرآن عن الأمن(*)

إن نعمة الأمن من أجلِّ النعم التي امتن الله ﷻ بها على عباده، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾(٢)، ويقول ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾(٤)، ويقول سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ

(*) أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) [سورة قريش، الآيات ١-٤].

(٣) [سورة القصص، الآية ٥٧].

(٤) [سورة العنكبوت، الآية ٦٧].

ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[1].

وقد ربط القرآن الكريم بين الرزق والأمن في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[2]، فلما كانت القرية آمنة مطمئنة يتعاضد أبناؤها في الحفاظ على أمنها كان يأتيها رزقها رغدًا وفيرًا هانئًا من كل مكان، فلما كفرت بأنعم الله عليها وجحدتها أذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[3].

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يجعل لآله وذريته حرمًا آمنًا وأن يرزق أهله من الثمرات، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا

(١) [سورة الأنفال، الآية ٢٦].
(٢) [سورة النحل، الآية ١١٢].
(٣) [سورة النحل، الآية ١١٨].

ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (١)، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(٢).

ويذكرنا نبينا ﷺ ببعض نعم الله ﷻ علينا، فيقول ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» (٣)، على أن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى قد قدم نعمة الأمن على نعمتي الصحة والرزق للتأكيد على أهمية هذه النعم وضرورة الحفاظ عليها، وعبر ﷺ بالأمن في قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ» للتأكيد على الحفاظ على نعمة الدار حتى لو كان في مجرد سرب أو شق أو نفق.

(١) [سورة البقرة، الآية ١٢٦].
(٢) [سورة إبراهيم، الآيات ٣٥-٣٧].
(٣) سنن الترمذي، أبواب الزهد، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، حديث رقم ٢٣٤٦.

فالعلاقة بين الأمن والرزق وتوفير المناخ الملائم للاستثمار والعمل والإنتاج علاقة طردية، فمتى تحقق الأمن والأمان والاستقرار تبعه النمو والاستثمار والعمل والإنتاج واتساع أسباب الرزق، ومتى كانت الحروب، أو التطرف والإرهاب، والتخريب والتدمير، والفساد والإفساد، كان الشتات والفقر ومشقة العيش وصعوبة الحياة.

وقد ربط القرآن الكريم - أيضًا - بين الأمن والإيمان، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[2].

(١) [سورة الأنعام، الآية ٨٢].
(٢) [سورة سبأ، الآيات ١٥- ١٨].

وقد حرَّم ديننا الحنيف كل ما يهدد أمن الناس وحياتهم، لدرجة أن النبي ﷺ نفى الإيمان - سواء أكان نفيًا لأصل الإيمان، أم لكماله، على اختلاف المجتهدين في المقصود من معمول النفي - عن كل من يهدد أمن الناس وسلامهم، فقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»(١)، ويقول ﷺ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ»(٢)، ويقول ﷺ: «وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»(٣). وفي رواية: قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ»،(٤)، ويقول ﷺ: «... تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»(٥).

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ الْمُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، حديث رقم: ٢٦٢٧.
(٢) مسند أحمد جـ١٩/ ص ٣٧٦، حديث رقم: ١٢٣٨٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ إِثْمِ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ، حديث رق: ٦٠١٦.
(٤) مسند أحمد، جـ٦/ ص ١٨٩، حديث رقم: ٣٦٧٢.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ٨٤.

وقد نهى الإسلام عن كل ألوان الفساد والإفساد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا..﴾[1]، ﴿.. وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4].

وإذا استطاع أحد أن يخدع بعض الناس بعض الوقت، فمن المستحيل أن يخدع كل الناس كل الوقت، وعلى كل منَّا أن يتذكر دائمًا أنه سيقف يومًا بين يدي من

(١) [سورة الأعراف، الآية ٥٦].
(٢) [سورة هود، الآية ٨٥].
(٣) [سورة البقرة، الآيات ٢٠٤- ٢٠٦].
(٤) [سورة محمد، الآية ٢٢-٢٤].

لا يغفل ولا ينام، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[3].

والحفاظ على نعمة الأمن والأمان يحتاج منا إلى أمرين: أحدهما: شكر الله ﷻ عليها، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[4]، والشكر ليس في المال فحسب، وإنما في سائر النعم.

الأمر الآخر: هو وحدة الصف، وتضافر جهود جميع مؤسسات الدولة من جيش، وشرطة، وقضاء، وأسرة، وتعليم، ومؤسسات دينية، وثقافية، ومدنية، ليتحقق الأمن

(١) [سورة الصافات، الآية ٢٤].
(٢) [سورة إبراهيم، الآيتان ٤٢، ٤٣].
(٣) [سورة غافر، الآية ١٧].
(٤) [سورة إبراهيم، الآية ٧].

لكل أبناء المجتمع بجهودهم متضامنين، وإدراك حجم التحديات التي تواجهنا، والأخذ بقوة على أيدي دُعاة القتل، والاغتيال، وسفك الدماء، والفوضى، والتخريب، مع تأكيدنا أن كل من يسلك هذه المسالك الخبيثة ينبغي أن يحاكم بتهمة الخيانة العظمى للوطن، لأن هؤلاء الخونة والعملاء هم الأخطر على أمن الوطن واستقراره، وهم لسان حال أعدائه، ويدهم الطولى في الإفساد والتخريب، فهم يأكلون طعامنا، ويلبسون ثِيابنا، ويطعنوننا في ظهورنا، وهم عيون أعدائنا، إذ لا يمكن للإرهاب أن يخترق أيّ دولة أو مجتمع إلا في ظل حواضن تستقبله وتأويه، وتوفر له المناخ الملائم لإثارة الفوضى.

ولنا في الحاضر من حولنا عِبرة ومتعظ بحال تلك الدول التي سقطت في براثن الفوضى، والتفكك، والتشرذم، والتمزق، ما بين لاجئ متعرض لمخاطر لا تعد ولا تحصى، وبين مشرد، ومعتقل، ومحاصر، أو شهيد، أو قتيل، أو مصاب، أو مقعد، أو مشوَّه، أو عاجز، حيث رأينا الإرهابيين المجرمين يستغلون حالة الفوضى والتفكك هذه، ويتجاوزون كل حدود

الإنسانية في الفتك والتنكيل بالبشر من الحرق، والسحل، والاغتصاب، والاستعباد، وحمل الناس على حفر قبورهم بأيديهم، مما يدعونا وبقوة إلى الحفاظ على ما أنعم الله ﷻ به علينا من أمن وأمان واستقرار، مدركين أن جزاء من يحافظون على أمن المجتمع وأمانه عظيم عند الله ﷻ، حيث يقول نبينا ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله»[1].

* * *

(١) سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم ١٦٣٩.

دور الإيمان في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

إن علاقة الأمن بالإيمان، والسلام بالإسلام، علاقة وثيقة تبدأ منذ اتحاد الجذر اللغوي، وهو ما أشار إليه ربنا سبحانه في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾(٢)؛ وصرح به النبي ﷺ حيث قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»(٣).

ويُعَدُّ الإيمان أعظم طريق لإقرار السلام الاجتماعي؛ حيث إن الإيمان عقد قلبي، ومن المسلَّم به حتى في علم الاجتماع أن الممارسات البشرية والعلاقات الاجتماعية المنبثقة عن الاعتقادات أكبر فاعلية وتأثيرًا وأقدر على الدوام والاستمرار مِن تلك التي ليست كذلك.

(*) أ.د/ علي جمعة محمد عبد الوهاب، عضو هيئة كبار العلماء، ومفتي الجمهورية السابق .

(٢) [سورة الأنعام، الآية ٨٢].

(٣) مسند أحمد: جـ ١٤ / ص٤٩٩، حديث رقم: ٨٩٣١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة .

والأمن والسلام في الإسلام مبدؤهما من داخل الإنسان لا من خارجه؛ فمتى ما كان الإنسان هادئ البال مستقر المشاعر مطمئن الفؤاد كان آمنًا؛ وإن كانت الأمور تموج من حوله والأحوال تضطرب قريبًا منه، بل الأكثر من ذلك أنه يُفيض على مَن حوله الأمن والسلام والطمأنينة بقدر ما يَعتَمِل[1] في نفسه من سكون وأمان واطمئنان.

والأمن يطَّرِد مع الإيمان وجودًا وعدمًا وزيادة ونقصانًا، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[2]؛ فالإيمان بالله تعالى هو الذي يحقق الأمن الداخلي، والأمنُ الداخلي ينعكس على أمن الشخص الخارجي، ومن ثَمَّ على أمن المجتمع الخارجي.

والأمن في الإسلام ركنٌ ركينٌ يُشَكِّلُ المحورَ الأساسَ في مقاصد الشرع؛ فإن المقاصد الشرعية التي هي حفظ النفس

(١) اعتملت المشاعرُ في داخله: ثارت واضطرمت . معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، مادة عمل . ط عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
(٢) [سورة الأنعام، الآية ٨٢].

والعقل والدين والوطن والعرض والمال تتغيَّا كلها توفيرَ الأمنِ والأمانِ للمكلَّف حتى يستطيعَ أن يقومَ بما كلفّه اللهُ تعالى به من عبادةٍ وعمارةٍ وتزكيةٍ على الوجه الذي يحقق مرادَ الله تعالى مِن خلقه، ومن النصوص القرآنية الصريحة في الربط بين الإيمان والسلام الاجتماعي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1]، على تفسير السِّلم بالسلام، وهو الموافق لظاهر الآية[2]، فقد أمر الله تعالى -مَن تحقق فيهم وصفُ الإيمان- بالدخول في كل مظاهر السلام - بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى- وجعل الخروج عن شيء فمنها نوعًا من الزلل الناتج عن اتباع خطوات الشيطان ووساوسه.

(١) [سورة البقرة، الآيتان ٢٠٨، ٢٠٩].

(٢) قال الطبري: «وَقَدِ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ: (ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ) بِفَتْحِ السِّينِ. وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفِيِّينَ بِكَسْرِ السِّينِ. فَأَمَّا الَّذِينَ فَتَحُوا السِّينَ مِنَ «السَّلْمِ»، فَإِنَّهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَهَا إِلَى الْمُسَالَمَةِ، بِمَعْنَى: ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ وَالْمُسَاوَمَةِ وَتَرْكِ الْحَرْبِ. وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَءُوا ذَلِكَ بِالْكَسْرِ مِنَ السِّينِ فَإِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي تَأْوِيلِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، بِمَعْنَى ادْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ كَافَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُوَجِّهُهُ إِلَى الصُّلْحِ، بِمَعْنَى: ادْخُلُوا فِي الصُّلْحِ.

ويعرِّف النبي ﷺ (الإيمان) بأنه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]. وليكن هذا الحديث الشريف هو مدخلنا إلى الكلام عن دور الإيمان في تحقيق السلام والأمن المجتمعي، وذلك كما يلي:

أولًا: الإيمان بالله تعالى: هو كبرى اليقينيات الكونية، وهو الحقيقة المطلقة التي لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، والدين يعلمنا أن الله تعالى اسمه «السلام»، فيقول تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، وأن هذا الاسم من صفات الجمال التي أُمِرنا أن نتخلق بها، مثل: الرحمن، الرحيم، السلام، المؤمن، الغفار، الوهَّاب، وصفات الجمال للتخلُّق، كما أن صفات

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ معرفة الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ، حديث رقم: ١.
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) [سورة الحشر، الآية ٢٣].

الجلال للتعلُّق[1]، ويعلمنا النبي ﷺ كيف نحيا في نور هذا الاسم الكريم لنجعل من العقيدة الإيمانية ممارسة عملية وتطبيقًا فعليًّا في كل مناحي الحياة، ومن ذلك ما يلي:

١- جعل السلام هو تحية الإسلام، وأمرنا بإفشاء السلام الذي يقتضيه هذا الاسم الإلهي، فيقول: ﷺ: «إِنَّ السَّلاَمَ اسْمٌ مِن أَسْمَاءِ الله تَعَالى وَضَعَهُ اللهُ في الأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[2]، كما يدلنا على أن السلام هو طريقُ التحابِّ بين الناس لكي يكمل إيمانهم ويدخلوا الجنة، فيقول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[3].

(١) الصفات الذاتية: هي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو القدرة والعزة والعظمة، وغيرها،والصفات الفعلية: هي ما يجوز أن يوصف الله بضده، كالرضا والرحمة والسخط والغضب، ونحوها، الصفات الجمالية: ما يتعلق باللطف والرحمة، والصفات الجلالية: هي ما يتعلق بالقهر والعزة والعظمة والسعة. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ص١٣٣. ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، باب السلام اسم من أسماء الله، حديث رقم:٩٨٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار البشائر الإسلامية - بيروت. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلاَمِ سَبَبًا لِحُصُولِهَا، حديث رقم: ٥٤.

٢- أخبرنا ﷺ أن الإنسان لا يستكمل الإيمان إلّا ببذل السلام للعالَم، والعالم: اسم لِمَا سوى الله تعالى، وهذا يشير إلى أن المسلم يجب أن يكون مصدر سَلامٍ لكل المخلوقات، حيث رُوِي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه أن الرسول الكريم ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ»(١).

٣- يجعل الرسول الكريم ﷺ بذل السلام من خير توجيهات الإسلام، فيقول لمن سأله: أي الإسلام خير؟: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْت وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٢).

٤- يحرص الإسلام على أن يسود الوئام والوفاق بين أفراد المجتمع، فيحرم الهجر والقطيعة بين الناس،

(١) مسند البزار «البحر الزخار «لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، حديث رقم: ١٣٩٥. ط مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة . وأخرجه البخاري في صحيحه موقوفًا على عمار، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام وقَالَ عَمَّارٌ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ، حديث رقم: ١٢، وباب إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ، حديث رقم: ٢٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، حديث رقم: ٣٩.

ويجعل خير طرفي النزاع هو الذي يبدأ منهما بالسلام، فيقول: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[1]، ويُبين ﷺ أن المبادر بالسلام هو أولى الناس بالله تعالى؛ لزيادة تحققه بهذا الاسم الكريم، فيقول ﷺ: « إِنَّ أَولى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلام »[2]، ويصف في المقابل من بخل بالسلام بأنه أبخل الناس؛ لأنه بخل بما لا يكلفه غرما، فيقول ﷺ: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلاَمِ»[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، حديث رقم: ٦٠٧٧، وكتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، حديث رقم: ٦٢٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثٍ بِلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، حديث رقم: ٢٥٦٠.

(٢) سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، كتاب الأدب، باب في فضل من بدأ السلام، حديث رقم: ٥١٩٧، ط دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٣) الدعاء للطبراني لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٤١٣هـ.، ص: ٣٩، حديث رقم: ٦٠، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى . وشعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، الحادي والستون من شعب الإيمان وهو باب في مقاربة أهل الدين و موادتهم و إفشاء السلام بينهم، حديث رقم: ٨٣٩٢. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

كما جعل النبي ﷺ السلام أول مدخل من مداخل الدعوة إلى الله تعالى، فيحدثنا عبد الله بن سلام - وكان من كبار أحبار اليهود قبل أن يسلم - ويقول: لمّا قدم النبي ﷺ المدينة انجفل[1] الناس قِبَلَه وقيل: قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعتُه تكلم به أن قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[2].

٥- وجعل الإسلام السلام هو الوجه الذي يستقبل المسلم به الناس عند فراغه من العبادة والمناجاة بينه وبين ربه حين يختم صلاته بالتسليم، بل ويجعله أيضًا في الأذكار التي تلي الصلاة؛ حيث كان ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ

(١) انجفل الناس قِبَلَه: أي ذهبوا مسرعين إليه. تحفة الأحوذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، ط دار الكتب العلمية - بيروت، جـ ٧/ ص١٥٨.
(٢) سنن ابن ماجه: كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، حديث رقم: ٣٢٥١.

وَالإِكْرَامِ»[1]، كما يرسم لنا الشرع الشريف منهج التعامل مع الآخر من خلال هذا الاسم الإلهي الكريم.

٦- كما يبين لنا الإسلام أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو (التعايش) و(السلام)، وليس القتال والصدام؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[3].

٧- كما يأمر الحق سبحانه وتعالى حبيبه ﷺ بأن يصفح عن غير المؤمنين ويخاطبهم بالسلام؛ حفاظًا على الاجتماع البشري، فيقول سبحانه: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[4]، كما ينهى المسلمين عن أن ينجرُّوا

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حديث رقم: ٥٩١.
(٢) [سورة الأنفال، الآية ٦١].
(٣) [سورة الممتحنة، الآية ٨].
(٤) [سورة الزخرف، الآيتان ٨٨، ٨٩].

إلى الصدام مع المغرضين والمتعصبين من غيرهم أو حتى مقابلة السيئة بالسيئة، بل يأمر بالصفح والعفو؛ حفاظًا على السلام الاجتماعي والنظام العام، وفي ذلك يقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1]، كما ينهى عن الدخول في مجادلات كلامية أو تلاسنات تجر إلى العداء، وأمر عند الجدال مع المخالفين في الرأي أو العقيدة أن يكون ذلك الجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[2]، وبهذا التوجيه القرآني أغلق أخطر باب يمكن أن يجر إلى العداء ويبدد أجواء السلام.

٨- ذكر المولى ﷻ من صفات عباد الرحمن أنهم يقابلون بهذا الاسم (السلام) من يجهل عليهم؛ فيقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[3]، ويقول جل

(١) [سورة فصلت، الآية ٣٤].
(٢) [سورة العنكبوت، الآية ٤٦].
(٣) [سورة الفرقان، الآية ٦٣].

شـأنه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[1].

٩- وينهانـا القـرآن الكريـم عـن منـع الأمان ممـن يمدُّ إلينا السـلام، فيقـول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[2]، وذلـك عـلى قـراءة اسـم المفعـول مـن (مؤمَنًـا)، وهـي قـراءة مـن القـراءات العشر المتواتـرة، قـرأ بها عيسـى بـن وردان عن أبى جعفـر المدني، وإن كان معنـى القراءتـين واحـد، لأن الأمـان مطلـوب لغـير المؤمـن مثـل مـا هـو مطلـوب للمؤمن.

والمؤمن لا يتعامل بمنهج السلام مع الإنسان فقط بل يتعداه إلى التعامل به مع الأكوان؛ لأنها كائنات تُسَبِّحُ لله

(١) [سورة القصص، الآية ٥٥].
(٢) [سورة النساء، الآية ٩٤].

تعالى وتسجد له سبحانه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[1]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، والنبي ﷺ يُعَلِّمنا أن الكائنات تحبنا لأننا نسبح الله تعالى كما تسبحه هي؛ فيقول ﷺ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»[2]، ويخبر أن أبواب السماء التي يصعد منها عمل المؤمن تبكي عليه إذا مات[3]، هذا بالإضافة إلى أوامره الشريفة ﷺ بالرفق بالحيوانات ورحمتها، ونهيه عن إرهاقها أو تحميلها فوق طاقتها أو تعذيبها أو المثلة بها، وفهم المسلمون هذه المعاني العميقة وأحسنوا تطبيق هذه الآداب النبوية الرفيعة؛ حتى وصلوا إلى مستوى من التعامل مع الحيوانات لم تعرف له حضارات الدنيا مثيلًا في توازنه وانضباطه.

---

(١) [سورة الإسراء، الآية ٤٤].

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ خَرْصِ الثَّمَرِ، حديث رقم: ١٤٨٢، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم: ١٣٩٢.

(٣) مسند أبي يعلى هو: أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)
تحقيق: حسين سليم أسد، جـ ٧ / ص ١٦٠، حديث رقم: ٤١٣٣، ولفظه: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ: بَابٌ يَدْخُلُ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَخْرُجُ فِيهِ عَمَلُهُ وَكَلَامُهُ، فَإِذَا مَاتَ فَقَدَاهُ وَبَكَيَا عَلَيْهِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[سورة الدخان، الآية ٢٩]، ط دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

ثانيًا: الإيمان بالملائكة: أمرنا الله تعالى به في كتابه الكريم، وبيَّن أن الإيمان بالملائكة مما آمن به الرسول ﷺ والمؤمنون، فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]، ويصف مَن عاداهم بالكفر ويجعل ذلك عداوة له سبحانه، فيقول: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

وآيات القرآن الكريم تشير إلى أنّ تَنَزُّل الملائكة مرتبط بالسلام والبُشرى والرحمة، ويكفينا مِن ذلك قولُه تعالى عن نزول الملائكة في ليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[3].

كما يخبرنا الشرع الشريف أن الملائكة تَرُدُّ عن المسلم ما دام لا يدفع السيئة بالسيئة، وتُدافِع عنه وتُؤيِّده، وفي

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٨٥].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٩٨].
(٣) [سورة القدر، الآيتان ٤، ٥].

هذا حماية للمجتمع من البذاءة وسوء القول، وقطع لدابر التناوش والتنابز بالألفاظ؛ وما يزرعُه ذلك من الإحن والبغضاء بين أفراد الجماعة الواحدة، وهذا مدخل مهم مِن مداخل السلام الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

ثالثًا: الإيمان بالكتب السماوية: أمر الله تعالى حبيبه المصطفي ﷺ أن يصرح بإيمانه بكل ما أنزله الله تعالى من الكتب في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[1]، ويجعل ذلك من صفات عباده المتقين في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2]، ويجعل جحوده منافيًا للإيمان به سبحانه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[3].

(١) [سورة الشورى، الآية ١٥].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٤].
(٣) [سورة النساء، الآية ١٣٦].

ويبين القرآن الكريم لنا كيف يكون الإيمان الصادق بالكتب السماوية عاملًا مُهمًّا من عوامل الاستقرار والسلام الاجتماعي ومانعًا من الشقاق والفتن، ومن ذلك ما يلي:

(١)- يصف القرآن الكريم بالهدى والصواب مَن آمن بكل كتب الله تعالى التي أنزلها على رسله، ويجعل التولي عن ذلك من أسباب الشقاق التي تُؤَثِّر سلبًا على السلام الاجتماعي، فيقول سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[1].

(٢)- ويبين أن الكتاب المنزل نسيج واحد، ولُحمَة واحدة، وأنه لا يؤخذ أبعاضًا؛ يؤمن الناس بما يشتهون منه ويتركون ما لا يوافق هواهم، وأن كثيرًا من مظاهر الإفساد في الأرض والإرجاف فيها ناجم عن هذه

(١) [سورة البقرة، الآيتان ١٣٦، ١٣٧].

النفسية التي يحركها الهوى فتؤمن بما لها وتكفر بما عليها، فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

(٣)- يبين الله تعالى أنه أنزل موازين العدالة الاجتماعية في كتبه السماوية بما يكفل للناس العيش في سلام وعدل إذا قاموا بها، فيقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[2]، كما يبين سبحانه أن إقامة الحياة على منهاجه الذي أنزله في كتبه يحدث الرخاء الاجتماعي والرغد

(١) [سورة البقرة، الآيتان ٨٤، ٨٥].
(٢) [سورة الحديد، الآية ٢٥].

المعيشي،فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[1].

ومن خلال المساحات المشتركة من الإيمان بالكتب المنزلة يرسخ الإسلام قاعدة السلام الاجتماعي بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى.

رابعًا: الإيمان بالأنبياء والرسل: إنَّ استلهام مناهج الأنبياء والرسل في فهم نصوص الكتب المقدسة التي أنزلها الله تعالى عليهم هو السبيل لتحقيق الأمن والسلام الاجتماعي، والتمتع بجميل ثماره، ونيل سعادة الدارين التي أرادها الله تعالى لخلقه، وإلى هذا يشير أمر الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[2].

والإسلام يعلمنا أنَّ دين الله تعالى نسق واحد متكامل، وأنّ الإيمان بجميع الأنبياء ركن في الإيمان وواجب؛ لأن

(١) [سورة المائدة، الآية ٦٦].
(٢) [سورة الأنعام، الآية ٩٠].

الكل مِن عند الله، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1]؛ ولذلك كان المصطفى ﷺ كثيرًا ما كان يصرح بأنه ﷺ وجميع أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام من مشكاة واحدة، فيقول: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ[2]، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ»[3]، فيجب على الإنسان أن يؤمن بكل أنبياء الله ورسله، مَن عَرَفَهم ومَن لم يعرفهم، حتى قال العلماء في جواب من سُئِل عن

(١) [سورة النساء، الآيات ١٥٠- ١٥٢].

(٢) العَلَّةُ: المَرَّةُ مِن عَلَّ، أي الشربة الثانية؛ أو الشرب بعد الشرب تباعًا، وبنو العلّات، أي بنو أمَّهات شتّى من رجل واحد، وكأن أبوهم شرب من الأولى وعل من الثانية، يقابلهم بنو الأخْياف وهم من أمٍّ واحدة وآباء مختلفين،والأنبياء أولاد عَلّاتٍ أي إيمانهم وعقائدهم واحدة وشرائعهم مختلفة.

(٣)صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى ﷺ، حديث رقم: ٢٣٦٥.

شخص لم تُعرَف نبوتُه مِن عدمها: آمنتُ به إن كان نبيًّا، وذلك من أعظم عوامل السلام الاجتماعي بين أصحاب الديانات السماوية.

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره: وهذا مما لا شك فيه يورث طمأنينة في النفس وسلامًا في المعاملات، تسليمًا بقدر الله وقضائه، واعترافًا بالحكمة الإلهية والعدل الإلهي وحتى يطمئن الجميع أن مرجع الأمر إليه، وأن كل إنسان سينال جزاءه عنده يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئًا، ولا يفلت مذنب بجريمته، وأنه إليه سبحانه تُرجع الأمور.

كما تتجلى مكانة السلام الاجتماعي وأهمية دوره في تحقيق الأمن المجتمعي في المواقف العطرة من السيرة النبوية الشريفة لأعظم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وفي تطبيقه للوحي الكريم الذي أنزله الله تعالى عليه، كيف لا وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فقال في حقه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

(١) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

والمتأمل في السيرة النبوية المطهرة يرى تطبيقَ ذلك واضحًا في تصرفات المصطفي ﷺ مِن مِثلِ امتناعه ﷺ مِن قتال المشركين بمكة، ولمّا قال له العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري في بيعة العقبة الثانية: «والله الذي بعثك بالحق إنْ شئتَ لَنَمِيلَنَّ على أهل مِنًى غدًا بأسيافنا»، قال له النبي ﷺ: «لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ»[1].

وكذلك تأسيسُه ﷺ لمعنى المواطنة وحرصه على السلام الاجتماعي مِن خلال معاهدته مع اليهود بالمدينة، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وذلك كله تشييدًا للدولة الإسلامية الوليدة على أُسس ثابتة من الاستقرار والأمن واستتباب النظام.

وتتجلَّى النفسية النبوية المبادِرة إلى الوفاق والمحبة للسلام وتركِ الخلاف والحريصة على تأليف القلوب في المدينة المنورة في حُبِّه ﷺ موافَقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يُؤمَرْ فيه بشيء، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين[2]، وأنه صبر

(١) مسند أحمد، جـ٢٥/ ص٩٤، حديث رقم: ١٥٧٩٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٣٥٥٨، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابٌ فِي سَدْلِ النَّبِيِّ ﷺ شَعْرَهُ وَفَرْقِهِ، حديث رقم: ٢٣٣٦. ولفظ البخاري،" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَكَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ».

على كل ما صدر منهم مِن الجحود والتكذيب والمكائد؛ ممتثلاً في ذلك قوله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]، حتى وقعوا في جريمة الخيانة العظمى للدولة الإسلامية، وأصبحوا حينئذٍ يمثلون خطرًا يهدد السلام الاجتماعي والأمن القومي، فكان إجلاؤهم وعقابهم أمرًا ضروريًّا لا مناص منه للحفاظ على أمن الدولة وسلامتها.

ونراه ﷺ يوقع في صلح الحديبية المعاهدة مع المشركين ويقدم ذلك على القتال امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2]، وعندما يمتن سبحانه بتصديق رؤيا حبيبه سيدنا ﷺ بفتح الله تعالى على عباده بدخول حرمه وأداء نسكه، امتن عليهم بالأمان قبل أن يمتن عليهم بالعبادة، ولم يكتفِ بذلك حتى أعقبها بالامتنان بعدم خوفهم حينئذ حيث

(١) [سورة البقرة، الآية ١٠٩].
(٢) [سورة الأنفال، الآية ٦١].

يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ﴾[1]، وهذا يبين موقع الأمن والسلام من الشريعة الإسلامية.

ومن جوانب السلام في حياته ودعوته ﷺ أيضًا السلام الوقائي للمجتمع وللدولة؛ أما الأول: فيتمثل في إرساء دعائم الوقاية من التعدي على الأمن المجتمعي أو الخروج على نظمه، وذلك باحترام حقوق الآخرين وأن يؤدي ما عليه قبل أن يطالب بما له، وأن يكون مسلمًا في سلوكه كما هو مسلمٌ في دينه ومعتقده، وبهذا تُغلق أبواب التعدي على المجتمع، وأما الثاني: فيتمثل في وضع العقوبات المقررة لارتكاب الجرائم ومنها: تشريع القصاص، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، والتي لم يكن النبي ﷺ يحابي فيها أحدًا، وأما الثاني: فيظهر في قوة الردع التي هي العامل الأساس في تحصيل السلام العادل بين الدول، والتي أمر الله

(١) [سورة الفتح، الآية ٢٧].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٧٩].

تعالى بتوفيرها وتحصيلها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

وختامًا.. فإن للإيمان دورًا عظيمًا في تحقيق السلام الاجتماعي والأمن المجتمعي، وإن جوانب السلام الاجتماعي في حياة النبي ﷺ ودعوته الشريفة بحر لا ساحل له، وهو يحتاج إلى دراسات علمية رصينة متكاملة واسعة لتجلية هذا الجانب العظيم من أخلاقه الكريمة العطرة ﷺ، ومن مطلوبات الدين الحنيف الذي جاء به الشرع الشريف الذي دعا إليه ﷺ.

* * *

(١) [سورة الأنفال، الآية ٦٠].

من مقومات الأمن المجتمعي وآلياته(*)

منذ خَلْق الإنسان ونشأة المجتمعات البشرية، وقضية الأمن المجتمعي للإنسان، هي شغله الشاغل، بل هي رسالة الأديان السماوية، وهي الغاية المعلنة لسائر المذاهب والنظم الوضعية بتطبيقاتها المختلفة المتعددة.

ولقد جمع الإسلام منذ ظهوره بين مختلف مقومات الأمن المجتمعي، وتميز منفردًا بنظرة خاصة بالنسبة لكل منها، فمن ذلك ما يلي:

١- في مجال الأمن الإيماني: فإن قوامه في الإسلام التوحيد والاعتصام بالله تعالى، مما عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٢).

٢ - وفي مجال الأمن العسكري: فإن قوامه القوة للردع والدفاع، مما عبر عنه القرآن الكريم في قوله

(*) المستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري ﷾.
(٢) [سورة الرعد، الآية ٢٨].

تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[2].

٣- وفي مجال الأمن السياسي: فإن قوامه العدل والشورى يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[5].

٤- وفي مجال الأمن الاقتصادي: فإن قوامه ضمان «حد الكفاية» لكل فرد، أي المستوى اللائق للمعيشة، فحيازة البعض للمال في الإسلام ليس امتلاكًا وإنما هو أمانة ومسئولية، يقول تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[6]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ

(١) [سورة الأنفال، الآية ٦٠].
(٢) [سورة النساء، الآية ٩٠].
(٣) [سورة النساء، الآية ٥٨].
(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].
(٥) [سورة الشورى، الآية ٣٨].
(٦) [سورة الحديد، الآية ٧].

﴿مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾[2]، ومن هذا قول الرسول ﷺ في حق الزكاة وبيان ماهيتها: «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[3]، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ»[4]، ويقول الإمام الماوردي: فيدفع إلى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى، ويضيف بأن تقدير العطاء معتبر بالكفاية[5].

٥- وفي مجال الأمن الاجتماعي: فإن قوامه في الإسلام حفظ التوازن بين أفراد المجتمع، يقول تعالى: ﴿كَيۡ لَا

(١) [سورة المعارج، الآية ٢٤، ٢٥].
(٢) [سورة النور، الآية ٣٣].
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم: ١٣٩٥، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: ١٩.
(٤) معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسَرْوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، كتاب الصدقات، بَيَانُ أَهْلِ الصَّدَقَاتِ، حديث رقم ١٣٣٣٩، ط جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
(٥) انظر: الأحكام السلطانية: ص ١٢٢.

يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ ﴾[1]، ومؤدى ذلك أنه إذا كان الإسلام يسمح بالتفاوت في توزيع الثروات والدخول تبعًا لاختلاف المواهب والقدرات؛ حيث يعتبر هذا التفاوت ضرورة لخلق الحوافز وتحقيق التعاون، إلا أنه يرفض بشدة أن يكون هذا التفاوت سببًا مؤديًا إلى تهميش الآخرين أو إلى اغترابهم وإثارة حقدهم؛ بل هو تفاوت منضبط بالقدر الذي يحفز على العمل ويحقق هدفه وهو: التكافؤ والتعاون والتكامل، لا الاستغلال والصراع والتناقض[2].

من المعلوم أن هذه المجالات مجتمعة تعد من مقومات الأمن المجتمعي، غير أن الإسلام لم يكتف منذ ظهوره بمجرد الدعوة النظرية أو الوعظية إلى هذه المجالات، وإنما أوجد من الآليات ما يكفل تحقيقها، ومن هذه آليات ما يلي:

أولًا: مؤسسة الزكاة:

الزكاة ركن من أركان الإسلام بعد الصلاة، وهي مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام لمواجهة مشكلة

(١) [سورة الحشر، الآية ٧].

(٢) انظر: تفصيل ذلك كتابنا المعنون: الإسلام وحفظ التوازن الاقتصادي بين الأفراد ودول العالم، وهو من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٤٨ في يونيو سنة ٢٠٠٧م.

الفقر، وذلك من خلال ضمان «حد الكفاية» أو «تمام الكفاية» لكل مواطن، ومنذ فجر الإسلام وللزكاة كيان مستقل بمواردها ومستحقيها؛ بل والعاملين عليها، وإذا عجزت حصيلة الزكاة بسعرها أو مقاديرها المحددة عن الوفاء بالتزاماتها نحو الفقراء والمحتاجين، أخذ فرع الزكاة احتياجاته من بيت المال بقدر ما يكفي التزاماته ويفي بها.

وتعتبر حرب الخليفة الأول لمانعي الزكاة هي أول حرب في التاريخ تخوضها دولة من أجل الضمان الاجتماعي وحق الفقراء والمحتاجين في أموال الأغنياء القادرين، وقد عبر عن ذلك الإمام ابن حزم في كتابه المحلى بقوله: وفرض الله على الأغنياء في كل بلد بأن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إذا لم تقم الزكوات بهم[1].

فالزكاة ليست مجرد إحسان متروك لاختيار المسلم، وإنما هي فريضة إلزامية تُستَوفَى من المكلفين بها على المستحقين لها، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى مخاطبًا الرسول ﷺ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ

(١) المحلى بالآثار لابن حزم: جـ ٤/ ص٢٨١.

عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[2]، وقوله ﷺ في عقوبة المقصر في أداء الزكاة: «ومَنْ مَنَعها، فإنا آخِذُوها وشَطْرَ مالِه، عَزْمةً من عَزَمَاتِ ربنا عزَّ وجل...»[3].

ويذكر أبو عبيد[4] أن والي اليمن بعث إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بثلث زكوات اليمن، فأنكر عليه ذلك قائلًا له: لم أبعثك جابيًا ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد على فقرائهم، فرد عليه الوالي: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدًا يأخذه مني، حتى إن الخليفة عمر

(١) [سورة التوبة، الآية ١٠٣].
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ١٣٩٥. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: ١٩.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم: ١٥٧٥.
(٤) الأموال: ص ٥٩٦.

بن عبد العزيز حين لم يجد فقراء يأخذون الزكاة كان يصرفها في فك الرقاب عتق الرقيق وفي تزويج الشباب.

ثانيًا: مؤسسة الوقف:

يراد بالوقف إخراج المال من ملك صاحبه إلى ملك الله تعالى، أيّ حبس أصل العين والتصدق بريعها لأوجه خير معينة كعون المحتاجين، أو لصالح المساجد والمدارس والمستشفيات وغير ذلك من وُجُوه الخير، ولا تخرج مختلف تعريفات فقهاء الشريعة الإسلامية للوقف عن أنه: حبس العين على ملك الله تعالى، والتصدق بالمنفعة حالًا أو مآلًا على أي وجه من وُجُوه البر، وأنه باعتبار أن المال في الإسلام هو مال الله والبشر مستخلفون فيه، وكان جوهر الوقف هو إعادة الأموال والثروات من «الملكية المجازية» للأفراد إلى «الملكية الحقيقية» لله تعالى، فقد انفرد الإمام ابن حزم في كتابه المحلى بتعريف متميز للوقف بأنه ليس كما ذهب البعض بأنه إخراج للمال إلى غير مالك وإنما هو إخراج إلى أجَلّ المالكين وهو الله تعالى، ولأن الوقف في جوهره هو صدقة جارية، فإن شأنه كالزكاة هو عبادة مالية وتكفير عن الذنوب.

ويعد الوقف مؤسسة مالية أو تمويلية دائمة، حيث تضمن قيام وفعالية واستمرارية عوائد المال الموقوف لصالح أوجه الخير، ومن ثم اعتمدت مختلف صور العمل الخيري ومختلف الجمعيات الخيرية والمؤسسات الأهلية على نظام الوقف كمصدر أساس لتمويلها؛ إذ إن التبرعات والهبات وما يماثلها هي أموال عارضة وغير منتظمة، بحيث قد يتعذر الاعتماد عليها في إقامة مشروعات خيرية طويلة الأمد.

ويعتبر الوقف الخيري منذ نشأته في فجر الإسلام من أهم وأبرز صور تكافل أفراد المجتمع التي انفرد بها الإسلام وأسس لها وذلك في صورة مؤسسية منتظمة ودائمة.

ولا ينكر أحد أهمية دور الوقف في تحقيق تنمية المجتمع وترسيخ الأمن الاجتماعي، وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن الوقف في تطوره لم يعد مجرد صدقة جارية على الفقراء والمحتاجين، وإنما يمتد اليوم ليكون مع الزكاة كصرح مؤسسي معاون أو مشارك في مواجهة التحديات والمشكلات المستحدثة كالبطالة، وتلوث البيئة، والمساكن العشوائية، وأطفال الشوارع، وغيرها، ويتميز الوقف عن

الزكاة والصدقات والتبرعات، بأن له قدرًا من الاستقرار والاستمرار بما يجاوز الحياة الفردية للناس، كما أنه في الوقت ذاته يضمن للمؤسسات الاجتماعية التي يمولها ولجهات البر التي ينفق عليها، قدرًا من الاستمرارية والدوام.

ولقيمة وأهمية الوقف، يقول ابن قدامة: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف[1]، فالوقف منذ بدايات عهده هو مما انفرد به الشرع الإسلامي، وظل متميزًا بأصوله الإسلامية وإقبال الأغنياء وكل قادر عليه، وذلك كعبادة مالية يبتغى بها وجه الله تعالى ورضاه في الدنيا والفوز بجنته في الآخرة.

* * *

(١) المغني: جـ ٦/ ص ١٨٧.

التكافل الاجتماعي في الإسلام(*)

أقام الإسلام نظامه في التكافل على هدي النواميس الكونية والطبائع البشرية في خَلْق الله الإنسان لتحقيق الخلافة في هذا الكون، والتعاون بين البشر وفق سنن الحق والعدل ورعاية الصالح المشترك، وبه يتعايش الناس ويعمر الكون في نطاق الاختلاف والتمايز بين بني البشر، ومصلحة الخلق في الارتقاء بالحياة، وسلوك أفضل السُّبل للوفاء باحتياجاتهم، وقيام اجتماعهم على أصول اجتماعية سليمة، وذلك انطلاقًا من وجود تفاوت بين الأفراد في التفكير والإدراك، وفي الأحاسيس والمشاعر، وفي القدرات والملكات، وفي احتمال التبعات والمسئوليات، وفي التزود بالروحانيات واكتساب الماديات، وفي تحصيل الأقوات والأرزاق؛ إذ يبرهن كل اجتماع بشري على أن التفاوت

(*) أ.د/ محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ورئيس الجامعة المصرية للثقافة بكازاخستان.

سنة إلهية وفطرة طبيعية إنما وجدت لتبقى وتدوم بها الحياة، ويستمر الدفع والتسابق بين الناس لسد الاحتياجات ولإحراز التقدم، وهو مجال تختلف فيه الحظوظ بين الأفراد والأمم، يقول تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

لقد وعى الإسلام هذه الحقائق وأقام عليها أصول مجتمعه، فاعترف بالتفاوت بين الناس بمقتضى الفطرة، وضمن لكل فرد وكل جماعة فيه ضروريات الحياة بالعمل الجاد المنتج، وفي الوقت ذاته بنى المجتمع على أُسس من التكافل والرحمة، ثم أرسى مبدأ العدالة في اكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات على سند من حصول كل فرد على نصيبه على قدر جهده وكسبه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[2]، لذلك أولى الإسلام عناية كبيرة لإسهام

(١) [سورة الزخرف، الآية ٣٢].
(٢) [سورة النساء، الآية ٣٢].

كل فرد في المجتمع على قدر جهده ولو بكلمة طيبة، وهو مسلك تكافلي، وارتقى بالعمل إلى أقصى الحدود في كل صوره، وجعل من العمل اليدوي قوة كبرى لإعمار الحياة، من أجل ذلك كان الوفاء بما يحقق لكل إنسان كرامته هو الشرط الأساس والركيزة المعتمدة في شتَّى صور التعامل بين الناس مع تفاوتهم وتدرجهم في الغنى والفقر.

ويمضى الإسلام في خطته للتعامل مع هذه الأوضاع المتفاوتة بين الناس ليضبط مسارها في شتَّى جوانبها، وكان من وسائله الفاعلة في ذلك تحقيق التضامن، والحد من الاختلال الفاحش في الثروة الذي قد يفرز الصراع ويوجد الطبقية والأثرة؛ لتكريس الكرامة كمقوم أساس في تجسيد الاعتبار للشخصية الإنسانية، والمعاملة العادلة كركيزة أساسية من ركائز النظام الإسلامي، بما يجعل الاجتماع البشري ذا مغزى حضاري يتضامن أفراده على التعاون البنَّاء للوفاء بضروريات ومطالب الحياة من خلال نظام متميز للتكافل ينبع من أصول الإسلام العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية لكل من الفرد والمجتمع والدولة، بل قد يصبو إلى البشرية قاطبة.

وسعيًا لإحراز هذه الغاية فإن الإسلام نبه إلى أهمية تبني التكافل في مفهومه الشامل، ولم يختزله في جانب المعاش دون سواه من الجوانب الأخرى التي هي لازمة لاستصلاح المجتمع؛ حيث ينهض هذا البناء السامق على أُسس عقدية ودينية، وحقائق حياتية تتعلق بالمعايش والأقوات وسُبل الاجتماع والمدنيات، ويغطي جنبات الأمور المادية والمعنوية على نحو يتجلى فيه شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ومحمول على أخيه، يُسأل عن نفسه ويُسأل عن غيره[1]، وترتيبًا على هذه الحقيقة يمثل التكافل الاجتماعي أحد عمد المنظومة الإسلامية والأساس القوي لبناء صرح مجتمع متماسك البنيان.

ومن ذلك يتقرر أن التكافل في المنظور الشرعي إنما هو فريضة وليس مجرد فضيلة، وأنه حق وليس منحة، فقد عنيت به النصوص وشددت عليه، ومناطه أنه أحد موازين العدالة المجتمعية، بمقتضى أنه يقوم بدور ملموس في

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت: ص ٤٣٥.

تصحيح الاختلالات الناشئة عن الفروق الفردية والتفاوت الطبقي في الشئون المادية ومكانة الفرد في الهيئة الاجتماعية، ويتكامل به الصرح الإسلامي القائم على التعددية؛ لينتظم الكل في جسد واحد أساسه المودة والرحمة والتضامن الخلَّاق، فبلغ به مرتبة الاستحقاق الإلهي، ونال به المكانة الرفيعة فيما أشاد به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وكان هذا النموذج المتفرد للمجتمع التكافلي الذي أقامه الإسلام كائنًا حيًّا على أرض الواقع، جمع بين المثال والواقع، والروح والمادة، في نسق متوازن احتشدت فيه القُوى البشرية على اختلاف أجناسها وأديانها وألوانها، انضووا جميعًا تحت لواء الإسلام: العقيدة والشريعة والنظام والدولة المتجانسة، رغم ما بينها من اختلافات وفوارق في مجتمع مركب ضم العنصر العربي والعنصر الحبشي والعنصر الفارسي والعنصر الرومي، وكذا الدين اليهودي والدين النصراني والوثني،

(١) [سورة آل عمران، الآية ١١٠].

كل هؤلاء تألفت منهم الدولة الإسلامية، فحازوا جنسية الدولة، وحصلوا على حق المواطنة؛ ومن ثم تمتع كل فرد بحقوقه، وحصل على حاجاته الأساسية.

البناء العقدي والمؤسسي للتكافل في الإسلام:

لعل نقطة البدء في نموذج التكافل الإسلامي قيامه على أصول عقائدية وتشريعية ومؤسسية تضمن أن يقوم الشخص على كفاية نفسه وأهله، ويندرج في ذلك أقاربه وذوو رحمه وفقًا لما أكد عليه القرآن في غير موضع بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[2]، وأكدت ذلك السنة بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:

(١) [سورة النساء، الآية ٣٦].
(٢) [سورة الأنفال، الآية ٧٥].

«الإِشْرَاكُ بِاللهَّ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ[1]، وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، فَقَالَ القَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «أَرَبٌ مَا لَهُ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَّ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، ذَرْهَا» قَالَ: كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ»[2].

والتكافل بالمعنى الذي تشير إليه النصوص يدخل فيه الإحسان إلى الأهل والأقارب، والمبادرة إلى تلبية مطالبهم، والبر بهم، والإنفاق عليهم، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي..»[3]، وَانعدام هذه الخيرية بين الأهل يمثل عقوقًا وانحرافًا وخروجًا عن مقوم أساسي للمجتمع، وهو التكافل الأسري.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابٌ: عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ مِنَ الكَبَائِرِ، حديث رقم ٥٩٧٦.
(٢) المصدر السابق، كتاب الأدب، بَابُ فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ، حديث رقم: ١٣٩٦.
(٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ المَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٣٨٩٥.

والتكافل في الإسلام يشمل الجيران، وفي حق الجار قال الرسول ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»[1]، وتمتد مظلة التكافل إلى أصناف أخرى، إلى اليتامى والمساكين والمسافر المنقطع عن ماله وابن السبيل، وتتدرج هذه الفئات التي هي بحاجة إلى الضروريات إلى أصناف مجتمعية أخرى، ثم إلى المجتمع بأسره، ثم إلى الدولة كلها؛ بحيث تحقق الرعاية بكل معانيها، وهذا ما يجعل المسلم يقوم به طوعًا واختيارًا؛ إعظامًا لحق الله عليه واستشعارًا للحق العام.

ويشكل الانتماء للإسلام والوطن بعناصره الروحية والمادية وهويته ونظامه حجر الزاوية في بناء الشخصية المسلمة داخل المجتمع والدولة، فالإسلام -كما يقول باسكويه[2]- هو تصديق للرسالات السابقة، وخلاصة الإنعام على البشرية، وهذا ما يعطيه قدرته المدهشة على دمج المؤمنين من مختلف الأصول العرقية في مجتمع واحد مع احترامه لخصوصياتهم، ويقينًا فإن الرباط الإيماني

(١) المعجم الكبير للطبراني، جـ١ / ص ٢٥٩ حديث رقم: ٧٥١.
(٢) إظهار الإسلام، روجيه باسكويه: ص ١٧.

المستند إلى ولاء المسلم وانتمائه لمجتمعه ودولته يكون أقوى داعم للتكافل على كل مستوى في المجتمع، ويؤلف بحق بين أبنائه، يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وإذا كانت الوحدة هي الرباط الوثيق الجامع بين المسلمين والجامع لأفراد وفئات المجتمع كافة، فهم متساوون في الحقوق والواجبات، متكافلون فيما بينهم، لا فضل لمسلم على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ فقد شدَّدت النصوص الدينية على هذه الوحدة، وحددت مضامينها في مجموعة من التكليفات على كل مسلم تجاه أخيه، يقول الرسول ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

(١) [سورة الأنفال، الآية٦٣].

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ: لَا يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ، حديث رقم ٢٤٤٢، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٠.

لقد أقام الإسلام المجتمع على مقومات التكافل الإنساني، وعلى نحو يحفظ قوته، ويحمي وحدته، ويضمن تعايشًا مشتركًا بين مكوناته، ويحض على التعاون على البر والتقوى، بما ينهض بالمجتمع البشري ويرتقي به، واضعًا نصب عينيه أن أعظم إنجاز حضاري يكمن في تربية الإنسان المنتمي لدينه ووطنه وبلده ودولته.

ويظل نموذج الرسالة والرسول ﷺ هو القيمة العُليا التي يصبو إليها الفرد والمجموع، ويمثله الفرد والمجتمع الإنساني بحسبان الرسول القدوة والأسوة الحسنة بما أرساه من تعاليم ومبادئ، أخصها في هذا المقام اللين في القول وحسن المعاشرة، وما أجدر أن يتحلى به المؤمن في أقواله وأفعاله، يقوله جل شأنه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[1]، وإذا كان هذا هو منهج صاحب الرسالة في التعامل مع المواقف والأحوال كافة، فلقد بلغ الرفق والرحمة مداهما

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].

في الشخصية المحمدية؛ إذ كانت غاية ومقصد الرسالة الإسلامية الرحمة بالناس لتعم الخليقة جمعاء، فيما جاء به البلاغ القرآني: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، وهو معلم من معالم الرسالة الخاتمة، يجسد الرحمة الإلهية، ويؤكد على التراحم كمطلب إيماني ومظهر حضاري.

ومما هو مسلم به أن حاجة الإنسان إلى إغناء نفسه وتوفير متطلباته الحياتية من الغذاء والكساء والسكن والعلاج له ولمن يعوله هي قضية جوهرية تقع في صميم التكافل المجتمعي بحسبانها شاغل كل فرد أو فئة من فئات المجتمع، واستشعارًا لأهمية ذلك أولى الإسلام هذا المطلب العناية الجديرة به، وبلغ الاهتمام به أن جعله حقًّا واجبًا وقضية حتمية قرر فيها التزامات، وحدَّد فيها مسئوليات، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[3].

(١) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].
(٢) [سورة المعارج، الآيتان ٢٤، ٢٥] .
(٣) [سورة الذاريات، الآية ١٩].

وقد التزم بذلك صحابة رسول الله ﷺ، وكان أقواهم في ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي لم يتردد في قتال من منع الزكاة انتصارًا لحق المحتاجين، وحرصًا على بلوغ هذه الغاية بتوفير القوت الضروري والأمن المجتمعي للفقراء والمحرومين ومن على شاكلتهم من الضعفاء والمكروبين، فقد جعل القرآن سد الحاجة الضرورية من عين البر كتعبير عن الإيمان بالله تعالى وطاعة أوامره وأداء الحقوق الواجبة لطوائف من الناس، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ...﴾[1].

وقد أثمر هذا الاهتمام الإسلامي حرص الصحابة على إطعام السائلين والمحتاجين كأنفسهم، وهو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[2].

(١) [سورة البقرة، الآية ١٧٧].
(٢) [سورة الإنسان، الآيتان ٨، ٩].

عموم التكافل المجتمعي:

يعدُّ التكافل المجتمعي في الإسلام ركنًا من أركان نظامه الاجتماعي، فقد أوجب الإسلام ضمان القوت الضروري لكل محتاج كحق واجب لا مجال للمساس به، وتمتد هذه المسئولية إلى عموم أقاليم الدولة؛ لأن النصوص وردت مطلقة لا تتقيد بإقليم دون آخر، وهذا ما بينه الفقهاء فيما ذهبوا إليه من جواز نقل الزكاة بين الأقاليم بضوابط تكفل تلبية حاجة المعوزين والمعدمين والفقراء والمساكين[1]، ويقول الموصلي الحنفي: إن من اشتد جوعه حتى عجز عن طلب القوت، فُرض على كل من علم به أن يطعمه أو يدل عليه من يطعمه صونًا له عن الهلاك، فإن امتنعوا عن ذلك حتى مات اشتركوا في الإثم[2]، وقد وجد هذا الرأي سندًا له في حديث النبي ﷺ "أَنَّهَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ

(١) انظر: المبسوط للسرخسي: جـ ٢/ ص١٨٠ - ص١٨١، والأحكام السلطانية للماوردي: ص ١٢٤، والمغني لابن قدامة: جـ٢/ ص٥٣١، ص ٥٣٢.
(٢) الاختيار للموصلي الحنفي: جـ٤/ ص٣٣.

اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[1]،فإن عموم لفظ الفقراء يشمل الموجودين داخل الإقليم أو خارجه، والتخصيص بمكان الزكاة لا مرجح له، فيكون تخصيص بلا مخصص، ويكون نقل الزكاة جائزًا بناءً على ذلك الفهم الفقهي السديد.

ولا ينبغي أن يفهم أن النصوص الدالة على الوفاء بالضروريات مقصورة على المسلمين، فإن هذه المسئولية تمتد لغير المسلمين من مواطني الدولة الإسلامية؛ إذ إن غير المسلمين جزء من نسيج المجتمع ومن أعضائه الذين يشملهم الجسد الإسلامي، وإلى ذلك ذهب القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[2]، وهو أن مطلق لفظ الفقراء في الآية لا يقتضي الاختصاص بالمسلمين دون أهل الذمة، وذهب فخر الدين الرازي إلى أن قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ١٣٩٥.
(٢) [سورة التوبة، الآية ٦٠].

﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾[1] نص مباشر في الصدقة على غير المسلمين[2]، فالصدقة تستحب على كل فقير وإن كان كافرًا، ويعضد الكتاب الكريم السنة النبوية المطهرة؛ فقد روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ تصدق على أهل بيت من اليهود صدقة فهي تجري عليهم[3].

من روافد التكافل المجتمعي:

ويضيف التكافل في الإسلام موارد أخرى يدعم بها مسيرة التضامن الاجتماعي، فإلى جانب الزكاة توجد موارد أو روافد أخرى، نذكر من بينها ما يلي:

الصدقات: وهي بذل المال وإنفاقه على المحرومين والعجزة والمحتاجين والأرامل والشيوخ ومن فقدوا والديهم من الأطفال، وكل من نزلت به نازلة، ومعتمدها الأريحية والمروءة التي يعمر بها وجدان المسلم وضمير الخير

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٧١].
(٢) التفسير الكبير للرازي: جـ ٧/ ص٧٦.
(٣) نصب الراية للزيلعي: جـ ٢/ ص٣٩٨.

الذي يحيا داخله، وهي مورد بلا حدود، لا يقف العطاء فيها عند حد أو مقدار بعينه، كما لا تتحدد بوقت معين لإخراجها كما هو الشأن في الزكاة، وكان وعد الله بالنماء بتعويض ما أنفقه وإخلافه على المتصدق بالرزق الحسن، لذلك قال الحق تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

الوقف: وهو من أهم الروافد الداعمة للتكافل المجتمعي، بواسطة حبس الواقف بعض المال وتخصيصه للصرف منه على أوجه البر والخير، فهو يضيف أبعادًا اجتماعية ومعاشية وحضارية لفتح أبواب العطاء للأهل وذوي القربى والمشاركة المجتمعية في صور لا تتناهى؛ حيث إن الوقف معتمده أنه صدقة جارية وعطاء متصل قد يكون بحبس بعض المال على الأهل والأقارب المتمثل في نوع الوقف الأهلي، وقد يتأتى في عمل مساهمات اجتماعية وتنموية في مرافق المجتمع ومصالحه العامة في صورة الوقف الخيري.

(١) [سورة سبأ، الآية ٣٩].

الوصية: وهي تصرف في التركة من جانب الموصي يسري بعد وفاته في حدود ثلث التركة، وهي تبرع يبتغي بها الموصي التقرب إلى الله أو للصرف على نشاطٍ خاص أو عام، أو للإحسان إلى شخص، أو مجاملة صديق، أو معونة قريب، وهي رافد تكافلي مطلوب شرعًا، مندوب إلى فعله بحديث الرسول ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ وَلَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»[1].

صدقة الفطر: وهي باب المعونة والمواساة لإدخال البهجة والسرور على الفقراء والمساكين في عيد الفطر، تجب على المسلم وعلى كل من تلزمه نفقته من الزوجة والأولاد والخدم؛ إغناءً للفقراء في يوم العيد، ووفاءً باحتياجاتهم ونفقات معيشتهم في هذه المناسبة.

الأضحية: وهي واجب تضامني أو سنة يتصدق فيها المسلم بذبح ماشية يعطي منها لنفسه ولأهله وللفقراء في مناسبة عيد الأضحى، يقول تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

(١) سنن الترمذي، أبواب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى الوَصِيَّةِ، حديث رقم ٩٧٤، وسنن ابن ماجه، أبواب الوصايا، باب الحيف في الوصية، حديث رقم: ٢٧٠٢.

وَٱنْحَرْ﴾[1]، وبقول الرسول ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَىَ كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ فِي كُلِّ عَامٍ أُضْحِيَّةٌ..."[2]، وهي صورة تكافلية بين أفراد المجتمع في يوم الأضحى، يتشارك فيه الأغنياء والفقراء بالأكل من الذبيحة في مناسبة عيد لا ينبغي أن يحرم من الاحتفال به أحد.

الكفارات: وهي غرامة مالية في أغلب أحوالها، تجب على من وقع في جريمة أو ارتكب محظورًا يؤديه إلى الفقراء والمساكين كبدل يكفر به عن الوقوع في المحرم، وهي تُؤدَّى في العبادات عند انتهاك حرمة الصيام والحج، كما تجب في المعاملات حالة الحنث في اليمين وفي الظهار، وفي الجنايات كالقتل الخطأ وغيره، وهي بإيجابها في الحالات المذكورة تضيف رافدًا آخرَ إلى التضامن الاجتماعي، وتقوي روابط الاجتماع للأهل والأقارب والفقراء.

هذه الروافد المالية ذات طبيعة تكافلية اجتماعية تربي الضمير، وتغرس الوازع الديني على أن في ذمة القادر على

(١) () [سورة الكوثر، الآية ٢].

(٢) () سنن أبي داود، كتاب الأضاحي، باب ما جاء في إيجاب الأضاحي، حديث رقم: ٢٧٨٨. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «الْعَتِيرَةُ مَنْسُوخَةٌ هَذَا خَبَرٌ مَنْسُوخٌ». وسنن الترمذي، أبواب الأضاحي، بَابُ الأَذَانِ فِي أُذُنِ المَوْلُودِ، باب منه، حديث رقم:١٥١٨ .

أدائها واجبًا يسهم به لصالح فئة تعاني من الحاجة والفاقة، وهي تبغي الحصول على حد الكفاية بما يوفر لها الكرامة الآدمية، ويؤكد على إحساس جميع الأفراد بمسئوليتهم نحوهم، وبأن الفرد يعيش لنفسه ولأهله وللمجتمع، وهو ما يشعر الكل أنه قوي بمجتمعه المتكافل، وأنه آمن في ظل هذا النظام؛ إذ من خلاله يعيش مع الناس وبالناس من أجل الناس.

وبذلك تضيف هذه المنظومة التضامنية موردًا آخرَ يقدم قيمة حضارية للمجتمع الإيماني الذي ينتمي أعضاؤه إلى الدولة، وبه يتكامل الفرد مع المجتمع والمجتمع مع الفرد في كيانٍ واحد ينعم فيه الفرد والدولة بشريعة التكافل في الإسلام.

* * *

دور الأسرة في تحقيق الأمن والسلام(*)

اهتم الشارع الحكيم أعظم الاهتمام بالأسرة ووضع لها نظامًا كاملًا محكمًا، تنشأ فيه رابطة الزوجية على أساس من المودة والرحمة والسكينة؛ حتى تنبت فيه شجرة الأسرة قوية الجذور، باسقة الفروع، وتنمو وتزدهر، وتثمر أينع الثمر، وتنشر في الناس ظلًّا وارفًا وأريجًا عطرًا، ومن أجل هذا كله كان الزواج ذا شأن خطير وأثر بالغ في حياة الإنسانية وتوجيهها.

الأسرة في القرآن الكريم:

جاء الحديث في الكتاب العزيز عن الأسرة وقضاياها فيما يزيد على ثمانين وثلاثمائة آية، ومن ذلك ما جاء في سورة النساء، التي نزلت باتقاف المسلمين بالمدينة، والوحي النازل في المدينة يتجه غالبًا إلى المجتمع الإسلامي، يرسي

(*) أ.د/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح، أستاذ الدراسات العُليا بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية .

دعائمه، ويبين معالمه، ويقيم أركانه، ولما كانت الأسرة أساس كل مجتمع صالح كان لابد أن تتحدث السورة عن الأسرة في صفحات عديدة وآيات كثيرة متوالية.

وإذا كان القرآن الكريم قد أمر بالصلاة والمحافظة عليها فإنه كذلك أمر بتعليم الأطفال الآداب ومحاسن الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فالأولياء مخاطبون بتعليم من تحت ولايتهم من بنين وبنات العلمَ والآداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم لأنهم هم المكلفون بذلك، حيث إن المَعْنِي بالأمر هم الأطفال لم يكلفوا من الله تعالى بعد؛ لأنه لا تكليف إلا بعد البلوغ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ﴾[2] ولا يمكن ذلك إلا بالتعليم والتأديب[3].

(١) [سورة النور، الآية ٥٩].
(٢) [سورة النور، الآية ٥٨].
(٣) تفسير السعدي: جـ١/ ص٥٧٤.

وإذن فالمؤمنون الذين اعملوا جهدهم في حسن تربية أولادهم وأخذوا بنواصيهم إلى الخير والرشاد قد وعدهم الله بثواب من عنده والله عنده حسن الثواب، وهو وعد صادق، فالله وعد المؤمنين الذين استقاموا والتزموا منهج الإسلام واهتدوا بهدي المصطفى ﷺ بمكافأة يفرحون بها في الدنيا وينالون بها السعادة في الآخرة وهي أن يكون أبناؤهم على منوالهم في طريق الخير والسعادة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[1].

وتُعَدُّ مرحلة الطفولة هي مجال إعداد وتدريب الطفل للقيام بالدور المطلوب منه في الحياة، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض هو أعظم دور؛ اقتضت طفولته مدة أطول ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل، ومن هنا كانت حاجة الطفل شديدة لملازمة أبويه في هذه الحقبة من الزمن.

(١) [سورة الطور، الآية ٢١].

ولما كان الأطفال هم أغلى ذخيرة على وجه الأرض، وهم عدة المستقبل، فقد حثت شريعة الإسلام على العناية بهم وحسن تربيتهم وتأديبهم وتهذيبهم والرفق بهم والعطف عليهم، كما أمرت الشريعة بتعليم الأطفال كل ما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، وهي مسئولية عظيمة يشترك في القيام بها كلٌّ من المنزل، والمدرسة، والمجتمع، كما أن البيئة الاجتماعية العامة التي تتمثل في حضارة الأمة ونظمها وعرفها العام تكتنف الإنسان منذ نشأته، فتتجه بتربيته وجهة معينة، وتشكل ميوله وجسمه وعقله وخلقه تشكيلًا خاصًّا.

إن أساس التربية الأول في الإسلام هو القرآن الكريم؛ الذي يهذب الأخلاق، ويُقَوِمُ النفوس، ويحث على مكارم الأخلاق، وقد جمعت التربية الإسلامية منذ أول ظهور الإسلام بين تأديب النفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم، وصقل المواهب، فهي تهتم بالتربية الدينية، والخلقية، والجسمية، والعلمية، دون تضحية بنوعٍ منها على حساب الآخر.

تبدأ التربية الإسلامية عن طريق المحاكاة والتلقين والقدوة الحسنة، فيقبل على الخير ويبتعد عن الشر، ويعمل على البر بأهله وجيرانه وبني جنسه، والتواصي بالحق مع مجتمعه من مساعدة الضعيف وإطعام اليتيم والمسكين، والتواصي بفعل الخيرات وترك الموبقات، فما يميز التربية الإسلامية في جوهرها هو هذا السلوك القويم الذي يربط المخلوق بالخالق، ويستمد من مخافة الله بعد معرفته حق المعرفة، حتى يصبح سلوك المسلم صادرًا عن معرفة الله واستحضار عظمته، وأنه المطلع على الإنسان، العالم بخبايا نفسه، وأنه لا تخفى عليه خافية، فالتربية الإسلامية في جوهرها تتطلب من الناشئ ذكرًا أو أنثى أن يكون إنسانًا فاضلًا، مهذب النفس، نافعًا في الحياة العملية، وأي ناشئ ابنًا كان أو بنتًا يجب توجيهه وتدريبه وتعليمه ليكون إنسانًا كاملًا في خلقه، مستقيمًا في سلوكه، يحب للناس ما يحب لنفسه، ويعمل على تنمية مجتمعه ووطنه.

وتُعَدّ السنة النبوية المطهرة هي الأساس الثاني للتربية في الإسلام، فقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في الرفق في تربية الأطفال وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرأفة والعطف

والرحمة، واعتبر الغلظة والجفاء في معاملة الأولاد نوعًا من فقد الرحمة من القلب، ولا شك أن القسوة في معاملة الولد مثبطة للهمة، قاتلة للذكاء، مؤدية للذل، باعثة على النفاق، والنبي ﷺ قد عمل على إدخال السرور في قلوب الأطفال حيث كان يُقبّلهم ويداعبهم ويحملهم في صلاته، ويقوم ﷺ بتنظيفهم، وقد ورد في السنة المطهرة الكثير من الأحاديث في هذا المجال ومنها ما رواهُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[1]، وكان ﷺ يتلطف ويترفق

(١) سنن النسائي، كتاب التطبيق، بَابُ هَلْ يُجَوِّزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ، حديث رقم: ١١٤١.

بربيبه عمر بن أبى سلمة ﷺ حيث قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ فقال: «يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[1]، وكان يداعب الأطفال ويسرِّي عنهم، ويخفف أحزانهم، فكان يقول ﷺ لأخي أنس بن مالك: «يا عمير ماذا فعل النغير»[2]، وكان ﷺ يخطب من فوق المنبر فأقبل الحسن والحسين يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ من المنبر فأقبل عليهما وهو يقول: صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]، فأخذهما وقبلهما، ووضعهما في حجره، وواصل خطبته[4].

ومن هذه النصوص وغيرها يتبين مدى عناية المصطفي ﷺ بالأطفال، وشفقته بهم وحرصه على إدخال السرور عليهم، فالأطفال هم أمل الحاضر وكل

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، حديث رقم: ٥٣٧٦، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، حديث رقم: ٢٠٢٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، حديث رقم: ٦١٢٩، وصحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته... إلخ، حديث رقم: ٢١٥٠. والنغير: اسم لطائر فقده هذا الغلام.
(٣) [سورة التغابن، الآية ١٥].
(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أبواب الجماعة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، حديث رقم: ١١٠٩.

المستقبل، فيحتاجون إلى بناء شخصيتهم وإشعارهم بالاهتمام بهم، وهذا بلا شك يترك آثارًا حسنة في نفوسهم، ويُعوِّدهم على الثقة بالنفس، ويربي فيهم العزة والأنفة وحب الغير والتآخي، ويشيع بينهم المودة.

وتتجلى منزلة الأولاد في حياة الناس فيما قاله الأحنف بن قيس عندما سأله معاوية ﷺ: ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلًا ثقيلًا فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك. فقال معاوية ﷺ: لله ضرك يا أحنف[1]، فعلى الآباء والأمهات بذل المزيد والمزيد من توجيه أبنائهم وبناتهم والأخذ بأيديهم إلى بلوغ أعلى الدرجات وأكمل الصفات، وهكذا يكون الناشئ رشيدًا سعيدًا يسير في حياته على نورين: نور الوحي، ونور العقل، يقول تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: جـ ٢/ ص ٢١٨.
(٢) [سورة النور، الآية ٤٠].

وبهذه التربية القيمة والتوجيه الحسن والتعليم الرشيد يتكون لدينا مجتمعٌ آمنٌ مطمئنٌ تظهر فيه الفضيلة وتختفي منه الرذيلة، ويستتب الأمن، ويعم الرخاء، ويتحقق في هذا المجتمع قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، وذلك في وسطية واعتدال ورحمة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]، فيعمل كل فرد من أفراد هذا المجتمع الرشيد على تحصيل المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وجلب خير الخيرين ودفع شر الشرين بما يحقق الأمن والسلام للمجتمع.

* * *

(١) [سورة آل عمران، الآية ١١٠].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٤٣].

دور المسجد ودُور العبادة
في تحقيق الأمن المجتمعي في الإسلام(*)

إن من أفضل النعم التي أنعم الله تعالى بها على البشرية هي نعمة الأمن، والأمن يعني حالة الاستقرار التي يعيشها الفرد والمجتمع بعيدًا عن الخوف وعن كل ما يهدد حياته أو مستقبله، وكلما تحقق الأمن في مجتمع ما ازدهر وتقدم؛ لذلك كان حرص الدول كافة على أن تجعل تحقيق الأمن في مقدمة خططها لسلامة الوطن وتقدمه، والأمن بمفهومه العام له أكثر من جانب، فجانب منه يهتم بغياب الجرائم أو كل ما يخل بالنظام العام والصحة العامة فضلًا عن السلامة العامة، وجانب منه يتصل بإشباع حاجات الإنسان الأساسية من تعليم وصحة وضمان اجتماعي، وكل هذه العوامل تؤدي إلى زيادة الاستقرار في المجتمع؛ مما يهيئ

(*) أ.د/ جعفر عبد السلام ﷾ أستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية سابقًا.

السُّبل للعمل الصالح الذي يقام عليه صرح التقدم للأمم والدول والأفراد.

وقد اهتم ميثاق الأمم المتحدة اهتمامًا واسعًا بتحقيق الأمن الخارجي لكل الدول، وذلك للاتصال الوثيق بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي، وجعل الهدف الرئيسي لهذه المنظمة هو تحقيق السلم والأمن الدوليين، ومن ثَمّ فالأمن له مدلول مهم في الميثاق لأنه يعني معالجة المشكلات والهموم التي تحيط بالمجتمع الدولي حتى لا يتهدد السلم؛ أي أن معنى الأمن لا يعني غياب العنف فحسب، وإنما يعني تهيئة الظروف والأوضاع لمنع الأسباب التي تؤدي إلى جعل بنيان المجتمع هشًّا تقوضه أقل الهزات.

ولا شك أن للمؤسسات والمنظمات التي تتواجد داخل الدول دورها المهم في تحقيق السلم والأمن، ابتداءً من الأسرة والمدرسة والجامعة والنادي والجمعيات؛ حيث تجمع الأفراد في داخلها وتشجعهم على تأدية أعمال تؤثر في بنيان الفرد وتجعله صالحًا، ومن ثم يصبح لبنةَ خير يُشيع السلامة والأمن في سائر أنحاء المجتمع.

ودُور العبادة لها دور كبير بالتعاون مع مؤسسات الدولة في إقامة صرح وبنيان المجتمع على تقوى الله، ويعد المسجد من الركائز القوية بالتعاون مع سائر المؤسسات الاجتماعية لتحقيق البناء الأخلاقي القويم للمجتمع، ومن ثم يكون بنيانه قويًّا وصالحًا ينشر الأمن والسلامة بين الناس في المجتمع.

وظيفة المسجد في القرآن الكريم:

لقد نبه الإسلام مبكرًا إلى أهمية الأمن المجتمعي، ومَنَّ على قريش بهذه النعمة، يقول تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾[1]، والسورة تنبه إلى أهمية الأمن من ناحية وإلى دور التجارة والاقتصاد بشكل عام في تحقيق الأمن من ناحية أخرى؛ حيث كانت رحلتا الشتاء والصيف هما أداة تحقيق الأمن الاقتصادي لقبيلة قريش، وتشير آيات أخرى في القرآن الكريم إلى تحقيق الأمن بهذا المعنى من خلال رسالة المسجد وأهمية إيجاده في الأرض لعبادة

(١) [سورة قريش، الآيات ١- ٤].

الله تعالى، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[1]، فهنا ذكر الله تعالى مرة أخرى الحديث عن قريش بالإشارة إلى معنيين:

الأول: هو أنه جعل لهم حرمًا، وهو المسجد الحرام، يتحقق فيه الأمن بمعنى الحماية من كل أنواع المكاره والمخاطر.

الثاني: أن هذا الأمن الذي تحقق لهم بوجودهم حول المسجد الحرام لا يتحقق بغيره؛ إذ غيرهم يعاني من الخوف وانعدام الأمن.

وفي معنى أشمل يشير القرآن الكريم إلى أهمية المسجد في تحقيق الأمن بمختلف أنواعه: الشخصي والاجتماعي والاقتصادي، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

(١) [سورة العنكبوت، الآية ٦٧].
(٢) [سورة القصص، الآية ٥٧].

لقد قرر القرآن الكريم الوظائف الرئيسية للمسجد في العديد من الآيات، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[2]، فالمسجد شرع لعبادة الله وحده، وهو رمز لوحدة المسلمين حيث يتوجه المسلمون فيه إلى قبلة واحدة، ويعبدون فيه إلهًا واحدًا، ويتعلمون فيه شعائر الإسلام.

ولقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يصلوا معه فيه، وبلغ من عنايته وحرصه على أهميته أنه ﷺ سارع عندما هاجر إلى المدينة ببناء المسجد، وكان يجتمع مع أصحابه فيه لتدبير أمور الدولة، ولاتخاذ قرارات السلم والحرب، ولتعليمهم أُسس الحياة الصالحة والعبادة النقية التي توصلهم إلى الفلاح في الدنيا والسعادة في الآخرة.

(١) [سورة المائدة، الآية ٩٧].
(٢) [سورة التوبة، الآية ١٠٨].

إن المسجد النبوي هو المكان الذي تعلم فيه المسلمون فن الحياة والإخلاص معًا، وبذل الجهد والوقت، والعمل لمرضاة الله تعالى؛ لذا حث الرسول ﷺ في حديث شهير له على شد الرحال لمسجده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[1]، وقد وصفه الله تعالى بأنه مسجد أقيم على التقوى من أول يوم، ومارس الرسول ﷺ من خلاله عملية بناء الأمة على البر والتقوى وطاعة الله والتمرس على عبادته فيه.

وهكذا كانت تتحدد وظيفة المسجد في الشرائع كافة، وليست في الشريعة الإسلامية وحدها، بعبادة الله بما تعنيه من الاعتكاف والتفرغ بما يضفيه ذلك على العباد من سكينة ووقار وتضرع وخشوع ولين الجانب ومن ثم الرحمة.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم: ١٣٩٧. واللفظ للبخاري.

واجبات المسلمين في احترام دُور العبادة:

فرض القرآن الكريم على المسلمين أن يحترموا المساجد ودُور العبادة بشكل عام في أي مكان، وأن يحيطوها بكل الأُسس التي تجعلها تحقق السعادة والاستقرار والأمن، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، ويؤكد ذلك الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده، ووصاياهم للجيوش التي تدافع عن الدولة وتصد المعتدين تدل على ذلك؛ ولذلك استخلص الفقهاء ورجال القانون الدولي الإنساني قديمًا وحديثًا قاعدة حرمة دُور العبادة وعدم جواز الاقتراب منها، ومنعوا أن ينالها أي أذى.

كما أن نظافة المسجد ونظافة من يدخله أمر واجب، يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2]،

(١) [سورة الحج، الآية ٤٠].
(٢) [سورة الأعراف، الآية ٣١].

وقد أمر الله تعالى بتقديس بيوته ومنع العبث بها أو استغلالها في غير ما أمر الله به، ونعى سبحانه وتعالى بشدة على أصحاب مسجد الضرار، وأمر رسوله ﷺ بالبُعْد عنه، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

المسجد هو حصن الأمن المجتمعي:

مقصود الله تعالى أن يكون المسجد حصنًا للأمن المجتمعي أسوة بقبلة مساجد الأرض، وهو المسجد الحرام،

(١) [سورة التوبة، الآيات ١٠٧- ١١٠].

الذي يقول الله تعالى عنه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[1]، كما يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[2]، والأمن هنا يعني منع العنف والظلم والإلحاد فيه، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

ومن المعلوم أن القانون الدولي الإنساني قد تبنى هذه القاعدة حديثًا، فحرم العدوان على المقدسات وبخاصة دُور العبادة، فهي حصن الأمن للمجتمعات، وحرم إلى جوارها الأماكن الثقافية، مثل: المتاحف، وأماكن الآثار، وكذلك حرم العدوان على المستشفيات والطائرات المخصصة للأغراض الطبية.

ومما هو معلوم أن المسجد يمارس دورًا مُهمًّا في حياة الأمة؛ حيث يُربَّى المسلم فيه على طاعة الله وتقواه، والبذل والعطاء في سبيل بناء مجتمعه وتنمية دولته، وهو دور يكمل دور الأسرة ويتكامل معه ومع غيره من أدوار لمؤسسات

(١) [سورة آل عمران، الآية ٩٧].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٢٥].
(٣) [سورة الحج، الآية ٢٥].

الدولة في التنشئة الصالحة للإنسان وتكوين شخصيته على أفضل الأساليب، وهو ما يكون عمادًا للأمن المجتمعي في كل زمان ومكان.

وتعد خطبة الجمعة أساسًا فعَّالًا لذلك؛ حيث تستهدف تثقيف المسلمين في شئونهم الدينية والدنيوية؛ لذلك أحاطها الفقهاء بكثير من الأحكام التي تضمن تفعيلها وجعلها مصدر خطاب صحيح للمسلمين في شئون حياتهم، وتعلمهم أمور الدين والعقيدة وسيرة الرسول ﷺ في المعاملات وغيرها.

وختامًا.. فللمسجد دور مهم في تحقيق الأمن المجتمعي؛ لأن المجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد، وبقدر صلاحهم يكون صلاحه، وبقدر تقدمهم وحرصهم على سلامة دينهم وأطفالهم يكون المجتمع سالمًا، وهذا هو دور المسجد ودُور العبادة في تحقيق السلامة والأمن للمجتمع.

* * *

دور التعليم واللغة في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

حين يأتي الحديث عن التعليم فهذا يعني بالضرورة أننا أمام قضية أمن قومي ومجتمعي من طراز خاص، باعتبار أن التعليم في مراحله المختلفة خطاب العقل والفكر والوعي والوجدان، وأساس اكتشاف قدرات الفرد على التجديد والنقد والتحليل والإبداع والمناقشة والحوار، وبالتعليم تبرز قيمة استشعار الهوية واحترام الذات والخصوصية الثقافية بقصد عدم الذوبان أو التماهي مع الآخر، وما قد يؤدي إليه ذلك من التراخي الذهني والاستلاب الحضاري.

من هنا يتمحور الجدل حول أهمية قدرات المدرسة المعاصرة والجامعة والبيت مع قدرة الرسالة الإعلامية على بث خطاب ثقافي متميز فيما يتعلق بالهوية واللغة واحترام الكيان القومي والخصوصية الثقافية يكون قادرًا على

(*) أ.د/ عبد الله التطاوي، مستشار رئيس جامعة القاهرة للشؤون الثقافية.

النهوض بالوعي الحضاري للأمة، وتحقيق الأمن المجتمعي لأجيالها من النشء والشباب.

المسألة التعليمية واحترام الهوية والخصوصية الثقافية:

يأتي مفهوم الهوية من واقع إدراك الذات لطبائع حدودها المعرفية والفكرية، مع تعزيز النسق المجتمعي والتاريخي والإيقاع النفسي والوجداني والجمالي الذي تتحرك في إطاره منظومة العلاقات الحاكمة للجماعة والفرد حين يتصالح القانون الداخلي له مع كل ما حوله من أعراف ودساتير وقيم وعادات وتقاليد، بعيدًا عن محنة الانقطاع أو الانفلات أو صناعة الخصومة.

ويتسع مفهوم الهوية لينسحب على لغة الفرد والمجموع في القدرة على التعبير عن الطبيعة النوعية للفعل التعليمي في مجموعة دلالاته التي تتبلور حول الذاتية والذاكرة؛ لتظل لغة التعليم دارًا للهوية، وبيتًا للكيان الإنساني، ومدخلًا أصيلًا للخطاب الإقناعي والجمالي.

هنا تبدأ معرفة الذات مع كفاءة المتكلم في توصيل رسالته، وامتلاك آليات الاتصال ومهارات الخطاب، لتظل

مدخلًا محكمًا للتفاعل والتلاقي مع الآخر بقدر ما تحمله الضمائر من دلالات الخطاب المتكلم والغائب، وبقدر ما تتيحه اللغة من فرص التواصل مع الآخر، واستيعاب فكره وإبداعه مع إنتاج مجالات للحوار معه.

وتظل للغة التعليم دقتها الأصيلة في تقدير الهوية الفردية والجماعية باعتبارها رمزًا اتصاليًّا وفعلًا دلاليًّا ومجالًا معرفيًّا متعدد الأبعاد والمستويات، وباعتبارها وسيلة للتعليم والتعلُّم ونقل المعرفة، وصناعة العلم والإبداع وتشكيل العالم المشترك للأفراد والجماعات، مما يعد مدخلًا للتصنيف على أساس اللغة، وتقدير منازل التعلم في حدود الخصوصية الثقافية، بمنأى عن التهميش والتسطيح، ومن ثم يبدأ الحوار من قوة أهل اللغة أنفسهم، واطراد قوتها من خلال قوتهم بمنطق الجاحظ القديم أو ابن خلدون، وبمنطق القياس الطبيعي للحياة اللغوية في مسارات النقاء والتداخل والتلاقي والافتراق والتجانس؛ سعيًا إلى حماية مفهوم الخصوصية الثقافية من الانتهاك، والتعرف على حدود الهوية عبر مناهج التعليم في أي من مراحله.

وتبدأ الخصوصية الثقافية باحترام منظومة القيم والأفكار والمبادئ والمعتقد تحت مظلة الأوطان وفي حماها، مع تجاوز محنة الاغتراب والتدني، وهنا يأتي دور الرسالة الإعلامية في تقدير أهمية اللغة وأهلها وإعداد خريطة لغوية للنشء والشباب بعيدًا عن دوائر الابتذال والنمطية والتسطيح، كما تبدأ الخصوصية الثقافية أيضًا بصناعة مزاوجة هادئة بين الموروث والمعاصر بشرط إدراك سُبل الحوار والمراجعة، وبدءًا من مساءلة القديم إلى تنمية الكفاءة اللسانية بتعلم أكثر من لغة.

اللغة العربية والهوية:

تعتبر اللغة العربية وعاء الثقافة ووسيلة التفكير الذي يحدد رؤية أبنائها للعالم ونواميسه؛ لذلك شكلت معرفتها أهم ركيزة لتحصين الهوية والذات والشخصية القومية، ومن ثم الأمن المجتمعي، ويظل الدفاع عنها واجبًا - بالضرورة - بما يحفظ لها مكانتها المنوطة بها بين الأمم الأخرى كما جاء في قانون ابن خلدون اللغوي: إن غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم.

ولعل رؤية ابن خلدون قد لخصت قصة عطاء العربية على مدار قرون طوال من عمر الزمن طالما أنتج فيها العرب العلوم والفكر والمعارف إلى جانب ما أفرزته قرائحهم من مواد الإبداع والثقافة منذ أن تكلم العلم بالعربية في معظم أنحاء الأرض، وشاركت فيه كل الجنسيات من أهل الأديان والملل تحت مسمى الثقافة العربية.

من هنا ارتسمت صورة الشخصية العربية الموسوعية بقدر قدرتها على العطاء المعرفي الذي طالما شكل نمطًا من خصوصيتها الثقافية والوجدانية التي لم تفرط فيها، على الرغم من كثرة التحديات، ومع هذا ظلت اللغة قادرة على الوفاء بحقها، فظلت بيت الكينونة والهوية، وكانت مصدر التعبير عن الذات القومية في ظل مفاهيم الأمن المجتمعي الذي لا يقبل التهاون أو التهميش، مع احترام كيانات الشعوب واعتبارات تاريخ الأمم.

وانطلاقًا من هذا الفهم الواسع للدور اللغوي والأداء التعليمي في صورته القومية والوطنية يجب أن نبقى على وعي بأهمية ذلك في تحقيق الهوية والانتماء الوطني والأمن المجتمعي، وذلك من خلال أمرين هما:

(١) منطلق وطني يؤكد ظاهرة الانتماء اللغوي وحتمية التعليم، مع ضرورة النهوض بالإنتاج العلمي والمعرفي الذي يرفع من شأن اللغة حتى ترتقي بعلو منزلة أهلها حين يتجاوزون دور المستهلك إلى دور المنتج القادر على تسويق إنتاجه ونشر فكره وإبداعه.

(٢) منطلق قومي يبدأ بالانتماء للأوطان، ويرقى إلى المنظور العام للأمة، ثم المنظور المتكامل للإنسانية.

وختامًا.. فإنه بقدر الاهتمام بالتعليم واللغة ودورهما في إثراء الفكر والعلوم، والنهوض بما يتوقع منهما، وما يُنْتَج خلالهما من العلم والمعرفة والإبداع، يظل دورهما واضحًا جليًّا في ترسيخ الخصوصية الثقافية وتنمية الهوية الوطنية، ودعم ركائز الأمن المجتمعي.

* * *

مخاطر الأمية على الأمن الاجتماعي
ودور أئمة المساجد في معالجتها(*)

الأمية نسبة إلى الأم، قال أبو إسحاق: معنى الأُمِّيّ المَنْسُوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه، أي لا يَكتُبُ؛ لأن الكِتابة مُكْتَسَبَةٌ فكأَنه نُسِب إلى ما يُولد عليه؛ وأصبحت كلمة الأمية تطلق على من لا يقرأ ولا يكتب، ثم تطورت الدلالة الاصطلاحية فأصبحت تدل على من لا يجيد استخدام الحاسب الآلي في القرن الحادي والعشرين، وقد يتغير معناها إلى ما هو أبعد من هذا في المستقبل، ومن الواجب أن تزال تلك الأمية - بحسبها- في كل عصر.

أهم مخاطر الأمية: الأمية هي أكبر روافد العواصف التي تعصف بالأمن المجتمعي، ويبدو ذلك مما يلي:

(*) سماحة الشيخ / عبد الله بن خالد آل خليفة ﷾ رئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين سابقًا.

الأمية تؤدي بالإنسان إلى الفراغ، والرسول ﷺ يقول: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»(١)، فإذا تسرب الشباب من المدارس، وبقي الآباء والأمهات بلا تعليم؛ فالنتيجة أن هذه الأسر يكون من السهل اختراقها، حيث تنفلت فيها القيم، وينفلت معها الأمن.

من المقطوع به أن فرصة الأمي في العمل والإنتاج أقل بكثير جدًّا من المتعلم، بخاصة إذا تحرك مفهوم الأمية كما ذكرنا من أمية القراءة والكتابة إلى أمية الكمبيوتر، وبهذا تفرز الأمية جيوشًا من أصحاب البطالة، مما يؤثر بالسلب حتمًا في أمن المجتمع واستقراره.

الأمية تؤدي إلى إفراز مقلدين غير مجتهدين، مبتدعين غير مبدعين، منهزمين غير منتصرين؛ مما يضاعف حالة الركود العام والتبعية للغير.

الجهل والأمية يفضيان بالإنسان إلى ضعف القدرة على التفاهم مع الآخرين وتنمية الملكات التي لا يمكن أن تأتي إلا من خلال برنامج تعليمي منهجي متدرج، وهذا

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بَابٌ: لَا عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ، حديث رقم: ٦٤١٢.

قد يؤدي إلى انفصام عرى الأمن المجتمعي بين الأزواج والزوجات، والأبناء والآباء، وإلى التفسخ الاجتماعي والأسري، مما يهدد الأمن الاجتماعي.

حث الإسلام على العلم ومحو الأمية:

في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ كم هائل من الآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم ونبذ الأمية والجهل، وفيها الكفاية في خلق الدافع نحو التعلم وإنهاء الأمية، وإذا كانت كلمة ﴿اقْرَأْ﴾ أول كلمة في القرآن الكريم قد نزلت في قوم تغلب عليهم الأمية، فإن القرآن الكريم إنما نزل ليقدم ما يصلح الناس أجمعين ويسعدهم في الدارين، ومن هنا كانت البداية في أول سورة نزلت: ﴿اقْرَأْ﴾[1]، وفي ثاني سورة: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[2]، فليست قراءة فقط بل قراءة وكتابة وتوثيق المعلومات، ثم إن أطول آية في القرآن الكريم في سورة البقرة جاءت عن كتابة جميع الالتزامات، وهي تفيد في كتابة المعلومات أيضًا، وتوالت النصوص

(١) [سورة العلق، الآية ١].
(٢) [سورة القلم، الآية ١].

في كم هائل حيث وردت: مادة «العلم»: ٨٦٥ مرة، و«التذكر»: ٢٨٤ مرة، و«السؤال»: ١٢٩ مرة، و«العقل»: ٤٩ مرة، و«التدبر»: ٤٤ مرة.

وفي أول فرصة أتيح للنبي ﷺ أن يفتح فصولًا لمحو الأمية فعل ذلك، وكانت بعد يوم بدر؛ حيث جعل فداء كل أسير أن يقوم بتعليم عشرة من الصحابة القراءة والكتابة، في بادرة تظهر أن الحرب ضد الظلم والاعتداء لا يجوز أن تشغلنا عن الحرب ضد الجهل والأمية، بل تجاوز الأمر من تعلم اللغة الأصلية إلى الحث على تعلم لغات أخرى، كما أورد الإمام الكتاني في كتابه «التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية»: أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم العبرية، فتعلمها في سبع عشرة ليلة، ثم تعلم السريانية[1]، ولم يكن صدفة أن يعقد البخاري بعد كتاب بدء الوحي والإيمان كتاب العلم، وفيه قرابة مائة باب، كلها تشير إلى أن العلم ضرورة

(١) التراتيب الإدارية للإمام الكتاني: جـ١/ ص ١٥٤. سنن الترمذي، أَبْوَابُ الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ السُّرْيَانِيَّةِ، حديث رقم: ٢٧١٥، ولفظه: «عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ» قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: « فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ».

وفريضة، والإفادة من هذه النصوص قرآنًا وسنة يكون هو الدافع الأول الذي يدفع الآباء لتعليم أولادهم، بل يدفع الكبار لتعلم القراءة والكتابة وما يصلح شئونهم.

دور أئمة المساجد في محو الأمية:

لأئمة المساجد دور كبير في محو الأمية، لأن لهم بفضل الله تعالى في قلوب الأمة مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة، حيث يرجع الناس إليهم طلبًا للفتوى ورغبة في حل مشكلاتهم العائلية والمالية، كما أن لهم قدرات في التعليم؛ حيث إن حفظهم للقرآن الكريم يضمن قدرًا كبيرًا من سلامة اللسان، والفصاحة والبيان، مما يغري الطلاب أن يستمتعوا بالتعلم منهم، وأن ترسخ لديهم الملكة اللغوية سريعًا، ونحن بحاجة إلى هذه السليقة العربية التي يتشربها الطالب من أستاذه تلقائيًّا.

كما أن للمساجد صبغة روحية تشد أي إنسان إليها، ويستشعر أنه جزء منها، بل يصل المسلم إلى ما وصفه الرسول ﷺ في صحيح البخاري حيث قال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ،

وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1]، الأمر الذي يجعل المسجد مصدر جذب لبعض الفئات المستهدف محو أميتها، ومن ثم يكون دور أئمة المساجد في التوعية بمخاطر الأمية والإسهام في محوها دورًا كبيرًا ومؤثرًا.

وختامًا .. فإن من ركائز حماية ودعم الأمن المجتمعي القضاء على الأمية بجميع أشكالها وصورها، لدى جميع الأعمار، صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، كتحدٍّ فاصل بين التخلف والتطلع إلى تنمية متوازنة راشدة، كما يعد دور أئمة المساجد من أهم الأدوار في معالجة مخاطر الأمية والعمل على محوها.

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الآذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ، حديث رقم: ٦٦٠. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١. واللفظ للبخاري.

الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

إن أمن المجتمع الإنساني كله هو الهدف الأساسي والغاية القصوى لرسالة الإسلام وتشريعاته العملية التطبيقية المتعلقة بهذا الإنسان في أيّ زمان وفي أيّ مكان، باعتباره عبد الله وخليفته في أرضه، مهما اختلف جنسه أو نوعه أو لسانه أو لونه.

وكل تشريعات الإسلام نزلت في أصولها وحيًا من السماء لحفظ الكليات الضرورية لحياة الإنسانية والبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هذه الكليات المال، فالمال هو كل منافع الحياة التي خلقها الله لهذا الإنسان لتحقق له كيانه الشخصي والمادي ودوام حياته إلى ما شاء الله، من كل ما أحله الله، وكل ما يتموله الإنسان من الحياة في طعامه وشرابه ودوائه وسكنه وملبسه وكل منافعه المادية

(*) أ. د/ نصر فريد محمد واصل، عضو هيئة كبار العلماء، ومفتي الجمهورية الأسبق.

والمعنوية؛ فهو المال الذي لا غنى للإنسان عنه بحال لتحقيق وجوده، والمحافظة على حياته لتمكنه من عمارة الأرض، واستخلافه لمنافع الكون لنفسه ولكل بني جنسه في هذه الحياة، وبذلك كان المال والإنسان وجهان لعملة واحدة، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، كالروح مع الجسد للإنسان، والدين الإسلامي الذي هو ضرورة من الضرورات الكلية للحياة هو في الوقت نفسه منهج هذه الحياة الذي ينظم للإنسان طريق السعي في الأرض والعيش فيها بسلام مع نفسه ومع بني جنسه؛ لتحقيق الأمن الاجتماعي لهما جميعًا، ونظرًا لأن المال للإنسان ضرورة من ضرورات وجوده وحياته؛ فقد جعله الإسلام ركنًا من أركانه الخمس، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لمن استطاع إليه سبيلًا.

بذلك لم يفرق الإسلام بين تنمية المال وتنمية الإنسان؛ حيث إنه لا غنى لأحدهما عن الآخر، فلا وجود للإنسان بدون المال، ولا وجود للمال بدون الإنسان، وبهما معًا تتحقق التنمية البشرية والإنسانية والمالية على أكمل وجه،

ويتحقق معها التكافل الإنساني والسلام الاجتماعي لكل المجتمعات البشرية.

ومن المعلوم أن إطلاق كلمة الزكاة تعبير صادق عن المضمون فالزكاة في اللغة: النماء والطهر، يقال: زكَّى الرجل نفسه أيّ طهرها من الآثام ومدحها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، ويقال: زكا الزرع: أيّ نما وكبر، وغلام زكا: أيّ كبر سنه ونما، وفلان زكى ماله: أي طهره وأخرج زكاته، وفلان تزكى: أي تصدق وتطهر من الشح والبخل بصدقته هذه من ماله، سواء أكانت واجبة أم غير واجبة[2]، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

أما الزكاة في اصطلاح الفقهاء شرعًا فهي: إخراج قدر مخصوص من مال مخصوص يصرف لطائفة مخصوصة على

(١) [سورة الشمس، الآيتان ٩، ١٠].
(٢) مختار الصحاح: مادة (زكو).
(٣) [سورة التوبة، الآية ١٠٣].

جهة الوجوب بشرائط مخصوصة[1]، وحكمها التكليفي في حق المسلمين أنها ركن من أركان الإسلام الخمسة، وأنها واجبة في عين المال الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغ النصاب بشروطه المخصوصة، وذلك في حق المكلفين بخطاب الشارع الحكيم، وقد قال الرسول ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[2].

وقد وجبت الزكاة لثمانية أصناف من طبقات الناس الواردة في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3]، وهي الجهات الثمانية التي هي مصارف أموال الزكاة الشرعية،

(١) الزكاة وأحكامها في الفقه الإسلامي للدكتور نصر فريد واصل: ص ٢٠، والعبادات في الفقه الإسلامي للدكتور نصر فريد واصل: ص ٢٩١، ط الرابعة.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»، حديث رقم: ٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، حديث رقم: ١٩. واللفظ للبخاري.

(٣) [سورة التوبة، الآية ٦٠].

فرضها الله تعالى في مال الأغنياء إذا بلغ النصاب، والتعبير بالصدقات في الآية عن أموال الزكاة الواجبة في مال الأغنياء للدلالة على صدق الإنسان مع ربه ونفسه في إخراجها طيبة نفسه بها، وقاصدًا إياها لإرضاء ربه، وصادقًا في بيانها وقدرها عند أدائها وطلبها لأصحابها.

والملاحظ أن مصارف الزكاة الشرعية في الإسلام شملت الجهات الثمانية التي معها تتحقق التنمية البشرية والتنمية المالية في الوقت نفسه، وبذلك تكتمل دورة الحياة البشرية والمالية والاقتصادية والصناعية والزراعية والتجارية والاستثمارية، والتكافل الاجتماعي والأمني بين الفقراء والأغنياء على حد سواء في المجتمع، وذلك لأن الزكاة تعمل من خلال مصارفها الثمانية على إعادة توزيع الدخل بين الأغنياء مالكي المال الذي تجب فيه الزكاة وبين المستحقين لها، وبذلك تعمل الزكاة على تقريب الفوارق الاجتماعية والمالية والاقتصادية بين كل طبقات المجتمع.

ويبدو واضحًا من خلال آية مصارف الزكاة؛ أن الزكاة هدفها الأول هو معالجة كل قصور في الجانب الاجتماعي،

كمساعدة ذوي الحاجات، والأخذ بأيدي الضعفاء، وتشغيل العاطلين عن العمل، وهذه المساعدات وتلك المعونات يتولى القيام بها من بيدهم ناصية الأمور في ذلك بطريق مشروع، وتؤدى للمستحقين كل عام بصورة دورية، وهدفها تحقيق الكفاية لكل محتاج إلى المال في المطعم والملبس والمسكن وسائر الحاجات لنفس الشخص ولمن يعوله، في غير إسراف ولا تقتير، مع ملاحظة أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن مصارف الزكاة الغرض منها تحويل الفقير إلى غني بما حصل عليه من مال يغنيه عن الزكاة بعد ذلك، إما باستثماره بنفسه أو بتحويله إلى آلة يكتسب منها، وهذا ما أجازه الفقهاء، أو ما يسد حاجته الطارئة والمفاجئة التي حولته من غني إلى فقير، كما هو الشأن مع الغارمين والمدينين وذوي الحاجات الطارئة، وكذلك أجاز الفقهاء إعطاء الفقير من أموال الزكاة ما يغنيه عن السؤال طوال حياته بالوسيلة المناسبة له.

والخلاصة: أن ما قرره الإسلام في تشريع الزكاة من شأنه أن يجعل للزكاة دورًا في حفظ توازن المجتمع وإعادة توزيع الدخل بين أفراده، وأن يكون ذلك التوازن خطوة رائدة

لتقريب الفوارق بين الطبقات وتحقيق الأمن المجتمعي، وفي هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت ﷺ: إن الزكاة في نظر الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة ممثلة في أغنيائها إلى الأمة نفسها ممثلة في فقرائها، وبعبارة أخرى ليست إلا نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهي اليد التي استخلفها الله على حفظه وتنميته والتصرف فيه وهي يد الأغنياء، إلى اليد الأخرى وهي اليد العاملة الكادحة التي لا يفي عملها بحاجتها، أو التي عجزت عن العمل، وجعل رزقها فيه ومنه، وهي يد الفقراء(١).

وبهذا التشريع المحكم يتحقق التوازن الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء على نحوٍ عادلٍ يحقق الأمن ويقود سفينة المجتمع إلى مرفأ الأمن المجتمعي.

* * *

(١) الزكاة وأحكامها في الشريعة الإسلامية: ص ٨١.

الوقف ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي(*)

حثَّ الله تعالى عباده إلى أعمال البر والخير، فقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾(٢)، ولا شك أن الوقف يُعدُّ من الصدقات الجارية التي يجري ثوابها، ويتجدد لصاحبها كلما انتفع الفقير والمحتاج منها، كما قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٣)، وقد تسارع المسلمون من لدن الصحابة الكرام إلى يومنا هذا إلى هذه السنة المحمودة، فأضحى الوقف مؤسسة اجتماعية قامت بدورها لتكفل ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، فكانت بذلك

(*) أ. د/ فريد بن يعقوب المفتاح، وكيل الوزارة للشئون الإسلامية، مملكة البحرين.

(٢) [سورة المزمل، الآية ٢٠].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم: ١٦٣١.

سببًا في إنشاء المساجد والمدارس والرباطات، وغيرها من مقاصد البر والإحسان.

ومن المعلوم أن مجال التكافل الاجتماعي في الإسلام واسع، وحالاته متعددة؛ إذ تكون البداية بالمرء نفسه، وذلك بأن يهذبها ويزكيها، ويدفعها إلى ما أمره الله تعالى به، وينهاها عما نهاه الله عنه، ثم ينتقل إلى أسرته، وذلك بأن يقوم كلا الزوجين بتحمل المسئولية المشتركة في القيام بواجبات الأسرة ومتطلباتها، كلٌّ بحسب وظيفته الفطرية التي فطره الله عليها، ثم تتسع بعد ذلك لتشمل محيطه الاجتماعي، فكل إنسان في المجتمع الإسلامي مأمور بأن يكون له دور إيجابي في المجتمع، وذلك بأن يكون وجوده فعَّالًا ومؤثرًا في المجتمع الذي يعيش فيه، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[1].

وقد بيَّن الرسول ﷺ حال أفراد المجتمع في تماسكهم وتكافلهم بصورة تمثيلية رائعة؛ حيث قال: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى

(١) [سورة المائدة، الآية ٢].

مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، ثم يكون مجال التكافل بين جميع البشر، مؤمنهم وكافرهم، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2]، فهذه الآية الكريمة تعلن مبادئ تكافل دولي، بموجبه تنتظم المجتمعات الإنسانية كافة في رباط عالمي، هدفه النهائي والحقيقي إقامة مصالح العالمين، ودفع المفاسد عنهم، وتبادل المنافع فيما بينهم، مادية ومعنوية، علمية وثقافية واقتصادية، مع الحفاظ على خصوصيات كل مجتمع وكيانه، دون تهديد لتلك الخصوصيات بما يهدمها أو يلغيها.

ولإرساء هذه القيم سعى الإسلام إلى إيجاد موارد متعددة تكفل رقي الأفراد في المجتمع الإسلامي، وتكون سببًا في تحقيق وإرساء الأمن في المجتمع الإسلامي.

ويعد الوقف من أهم مظاهر التكافل الاجتماعي وأحد أهم الروافد المالية للأمن المجتمعي، وقد شرع الإسلام

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦.
(٢) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

الوقف وجعله من أفضل الأعمال، وقد شكَّل الوقف على مرِّ التاريخ الإسلامي مرفقًا حيويًّا للمجتمع، يقوم حتى اليوم بالوظائف العامة والأمن والرعاية الاجتماعية للفئات المحتاجة.

تعريف الوقف، وبيان أقسامه، وأركانه:

تعريف الوقف:

للوقف في اللغة معانٍ كثيرة، منها السكون، ومنها المنع والتعليق، ومنها التأخير والتأجيل، ومنها الحبس[1].

أما في اصطلاح الفقهاء، فقد ذكر الفقهاء تعريفات مختلفة للوقف تبعًا لآرائهم في مسائله الجزئية، إلا أن أشمل تعريف له هو: تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة أو المنفعة[2]. وهذا التعريف يؤيده الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عمر ﷺ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ

(١) تاج العروس: مادة (وقف).
(٢) المغني لابن قدامة: ٨/ ١٨٤.

هُـوَ أَنْفَـسُ عِنْـدِي مِنْـهُ، فَـمَا تَأْمُـرُنِي بِـهِ؟ قَـالَ: «إِنْ شِـئْتَ حَبَسْـتَ أَصْلَهَـا، وَتَصَدَّقْـتَ بِهَا»[1].

أقسام الوقف:

يقسم الفقهاء الوقف إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الوقف الخيري؛ وهو الذي يقصد به الواقف التصدق على وُجُوه البر، سواء أكان على أشخاص معينين كالفقراء والمساكين والعجزة، أم كان على جهة من جهات البر العامة كالمساجد والمستشفيات والمدارس وغيرها، مما ينعكس نفعه على المجتمع، أي أنه وقف يصرف فيه الريع من ناظر الوقف إلى أشخاص معينين من غير ذرية الواقف، أي لجهة خيرية.

الثاني: الوقف الأهلي أو الذري؛ وهو ما يجعل استحقاق الريع فيه أولًا إلى الواقف مثلًا، ثم أولاده أو أقاربه، ثم لجهة بر لا تنقطع، حسب إرادة الواقف.

(١) متفـق عليه، صحيح البخاري، كتـاب الشروط، باب الـشروط في الوقف، حديث رقم: ٢٧٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوقف، حديث رقم: ١٦٣٢، والفظ لمسلم.

الثالث: الوقف المشترك الخيري والأهلي؛ ويقصدون به الوقف الذي تم ابتداء على الذرية، وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعهما في وقفه، فجعل لذريته نصيبًا من العين الموقوفة، وللبر نصيبًا محددًا أو مطلقًا في الباقي، أو بالعكس، وهذا بلا شك أمر سائغ طالما أن الواقف قد خصص منافع العين الموقوفة على ذريته وعلى جهة البر معًا، فهو يحقق الخير والبر ولا يتنافى ذلك مع مشروعية الوقف.

أركان الوقف وشروطه:

للوقف أربعة أركان: الواقف، والموقوف عليه، والموقوف، والصيغة، وإليك بيانها بإيجاز:

أ-الواقف:

وهو الحابس للعين، ويشترط فيه أن يكون أهلا للتبرع، بأن يكون عاقلًا بالغًا غير محجور عليه، مختارًا غير مكره.

ب-الموقوف عليه:

وهي الجهة المنتفعة من العين المحبوسة، ويشترط فيها أن تكون جهة بر وخير ونفع، وأن تكون الجهة مما يصح أن تُمَلَّك.

ج- الموقوف:

وهي العين المحبوسة، ويشترط فيها أن تكون مالًا متقومًا، معلومًا محددًا، ملكًا للواقف ملكًا تامًا، ويشترط دوام الانتفاع به، وألا يكون من المستهلكات كالطعام والشراب، ويصح وقف المال المنقول والمشاع والعقار، ولا يصح وقف المنفعة وحدها دون الرقبة، ولا يصح وقف ما لا فائدة فيه أو ما لا منفعة منه.

د- الصيغة:

وهي تكون بأي لفظ يدل دلالة واضحة على معنى الوقف نحو: أوقفتُ، سَبَّلتُ، حبَستُ، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوقف كما ينعقد باللفظ ينعقد بالفعل، كأن يبني مسجدًا ويأذن للناس في الصلاة فيه، أو مقبرة ويأذن في الدفن فيها، فيصير المسجد والمقبرة وقفًا بالقرينة الدالة على إرادة الوقف، ومن المعلوم أن التصرفات الواردة على الأعيان يجب أن توثق في مكتوب أو سند، حتى لا يطمع فيها أحد من المستحقين أو غيرهم، فيضيع الهدف من الخير الذي قصده الواقف،

ويتعطل مقصد الشرع من تشريع الوقف، فكان من اللازم إفراغ الوقف في حجة توثقه وتحفظ حقوقه وتمنع الطمع فيه، وذلك ما يجري العمل به الآن.

مقاصد الوقف:

إن مقاصد وأهداف الوقف كثيرة متنوعة، ونفعه يعم الدنيا والآخرة، ومن أهمها[1]:

يسهم الوقف في تغطية حاجات شرائح واسعة من المجتمع، بالإضافة إلى مساهمة أنواع البر الأخرى كالزكاة والصدقات ونحوها، مما يشكل في مجمله مظلة التأمينات الاجتماعية للأمة، ويعمل على رفع مستوى الفقراء، ويحول دون تركز الثروة لدى قلة من الناس، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

(١) انظر بحث: الأوقاف ودورها في التنمية، د. سعيد الجارحي، ضمن أبحاث ندوة: الوقف الخيري، أبو ظبي: ص ١١٩، وبحث: أثر الاجتهاد في تطور أحكام الوقف، أ. د/ محمود أحمد أبو ليل، ضمن أبحاث ندوة: الوقف الإسلامي بجامعة الإمارات العربية المتحدة: ص٦.

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

يحافظ الوقف على المال ويحميه من الإسراف، فيبقى المال، وتستمر الاستفادة من ريعه، ومن جريان أجره له، ومن تأمين مستقبل ذريته بإيجاد مورد ثابت يضمنه، ويكون واقيًا لهم من الحاجة والفقر.

يسهم الوقف كذلك في مختلف عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وغيرها مما يخفف العبء عن الحكومات، وبخاصة تلك التي تعاني من العجز في ميزانيتها، كما يسد الكثير من الفراغ الذي تتركه بعض الدول لسبب أو لآخر في مجال الرعاية والخدمات وغيرها.

يدعم الوقف روح العمل المؤسسي والاجتماعي من خلال الجمعيات التي تشرف عليه بما يجسد أواصر الوحدة.

يؤكد على ضرورة امتثال أمر الله تعالى بالإنفاق والتصدق في وُجُوه البر، ولا شك أن بالبر تدوم صلة الناس وتنقطع

(١) [سورة الحشر، الآية ٧].

البغضاء ويتحابون فيما بينهم، وبهذا الامتثال يكون الوقف سببًا لحصول الأجر والثواب من الله تعالى ومحو السيئات.

يساعد على تنويع العمل التطوعي لكفالة الأيتام، وعون الفقراء والمساكين، وهو ما يسمى اليوم بالتكافل والرعاية الاجتماعية.

يسهم الوقف في تخفيف البطالة بما يقدمه من فرص العمل في المشاريع الوقفية المختلفة.

يساعد على الادخار الإيجابي، وتوجيهه نحو الخير والإنتاج؛ حيث إن ذلك من لوازم الوقف ووسائله.

يضمن الوقف بقاء المرافق العامة وصيانتها، كالمساجد، والمعاهد، والمدارس، والمشافي، ودور العجزة، وملاجئ الأيتام وغيرها.

يسهم الوقف في تلبية حاجات كثير من المسلمين بإقامة مراكز الدعوة إلى الله تعالى، وكفالة الدعاة، ودعم المشاريع الدعوية المتعددة، وإيجاد مؤسسات ثقافية وإعلامية؛ للعمل على نشر الفكر الإسلامي الصحيح.

من ثمار الوقف تحقيق الأمن الاجتماعي:

للوقف دور كبير في سد حاجات المجتمع الإسلامي، هذا إلى جانب ترتيب الأجر والثواب المستمر للعباد في حياتهم وبعد مماتهم، من خلال الإنفاق والتصدق والبذل في وُجُوه البر، وبذلك يتحرر المسلم من ضيق الفردية والأنانية، ويكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى، كما يتميز الوقف بعدم محدوديته واتساع آفاق مجالاته، والقدرة على تطوير أساليب التعامل معه، وكل هذا كان من ثماره تحقيق التراحم والتواد بين أفراد المجتمع المسلم على مرِّ العصور، بمختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال أربعة عشر قرنًا مضت.

لقد أسهم الوقف في التنمية الاجتماعية في الحواضر والمدن الإسلامية، وكان للأوقاف الإسلامية دور عظيم في إمداد الجانب الإنساني والاجتماعي لخدمة الفرد والجماعة والأمة، وإيجاد عنصر التوازن بين الأغنياء

والفقـراء، وضـمان بقـاء المـال وحمايتـه ودوام الانتفـاع بـه، وتوفـير سُـبل التنميـة علميًّـا وعمليًّـا بمفهـوم تكاملي شـامل، وبذلـك يتحقـق الأمـن في المجتمـع، ويتجـلى في صـور عـدة، منهـا[1]:

أن الوقف هو خير طريق لسد الثغرات الحاجية لفئات عديدة من أفراد المجتمع؛ إذ يسهم في رعاية الفقراء من الأهل والأقارب خاصة، وفقراء المسلمين عامة، ويضمن مساعدة المرضى، ويدعم المعوزين.

الوقـف يقـوم بـدور كبـير في مجـال الضـمان الاجتماعي لسـائر الطبقات المحرومة من أسـباب الحيـاة، من المدينين والمأسـورين والأرامـل والمطلقـات والمرضـى وأصحاب العاهات.

الوقف يعمل كذلك على دفع وتنمية المسيرة الاقتصادية للمجتمع، وبذلك يتحقق الترابط والتعاطف والتعاون، ويؤدي إلى إنجاح مسيرة الأمة في مناحي الحياة كافة، بلا

(١) انظـر بحث: الأوقـاف ودورها في التنمية، د. سـعيد الجارحـي، ص ١١٩، وبحث: أثر الاجتهاد في تطور أحكام الوقف، أ. د/ محمود أحمد أبو ليل: ص٦.

معوقات تأكل في بنيان الأمة بسبب الحقد أو البغضاء التي تتولد في نفوس بعض المحرومين، الذين لم يجدوا من يسد حاجتهم بغير مَنٍّ ولا أذى.

الوقف يساعد الكثير من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وغيرهم على بناء المجتمع، الذي لم يضن عليهم بالرعاية والعناية، وإنما يقدم لهم عوائد الأوقاف الموقوفة عليهم؛ لتحقيق الحياة الكريمة لهم بلا أدنى تمييز، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى.

الوقف الأهلي، أو المشترك بينه وبين الوقف الخيري، يؤدي إلى الاهتمام بحاجات الفرد والأسرة؛ لأنهما اللبنة الأولى في بناء المجتمع السوي، وفق المنهج الذي سنَّه الإسلام في وقف الأموال على جهات البر والخير.

يقوم الوقف بدور رئيس في مجال الرعاية الصحية، ومساعدة المرضي من الفقراء والمحتاجين، فكثيرًا ما وقف الأغنياء أموالهم وأملاكهم على ما كان يسمى قديمًا بالبيمارستان، وهو المستشفى الذي يقوم بمهمة علاج المرضى، وإطعامهم، ومتابعتهم حتى الشفاء، وفي

حالـة المـوت كان البيمارسـتان يتحمل مصاريـف ونفقات التجهيـز والدفن.

الوقف يساعد الفقراء الراغبين في النكاح، وذلك بتقديم المهور اللازمة، والمساهمة في تزويجهم.

الوقف له دور كبير في ميدان نشر الثقافة والعلم، وكانت المساجد ودُور العلم التي أنشأتها أوقاف الأغنياء تمثل مراكز العلم والإشعاع الثقافي، وبهذا نستطيع أن نقول: إن الحركة العلمية الواسعة التي شهدها العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه إنما تدين بالشيء الكثير لازدهار الأوقاف وانتشارها، وبذلك واصل الفقراء مسيرة العلم مثل الأغنياء.

الوقف له دور كبير في رعاية أسر المسجونين، وتوفير الحياة الكريمة التي تعصمهم من الانحراف، وتحول بينهم وبين السلوك الإجرامي.

وختامًا... لقد كان للوقف في تاريخنا الإسلامي مكانة كبيرة في مجال التنمية، واستغلت أموال الأوقاف في مساعدة المحتاجين، وبذلك أسهم في نشر الفضيلة، ومحو الرذيلة،

وحفظ المجتمع من الانحرافات السلوكية والفكرية، وأوجد جوًّا من التسامح لدى طوائف المجتمع كافة، ضمن روابط من التكافل والتضامن الاجتماعي والاقتصادي، كما خفف الضغط النفسي على قلوب المحتاجين، كالفقراء والمرضى وغيرهم، فنزع فتيل الحقد من قلوبهم، وساعد إلى حدٍ كبير في دعم الأمن المجتمعي.

* * *

الموضوع

تقديـــم ٥
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

حديث القرآن عن الأمن ٩
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

دور الإيمان في تحقيق الأمن المجتمعي ١٩
أ.د/ علي جمعة محمد عبد الوهاب، عضو هيئة كبار العلماء، ومفتي الجمهورية السابق .

من مقومات الأمن المجتمعي وآلياته ٤٣
المستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري

التكافل الاجتماعي في الإسلام ٥٣
أ.د/ محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ورئيس الجامعة المصرية للثقافة بكازاخستان.

دور الأسرة في تحقيق الأمن والسلام ٧٣
أ.د/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح، أستاذ الدراسات العُليا بجامعة الإمام محمد بن سعود.

دور المسجد ودُور العبادة في تحقيق الأمن المجتمعي في الإسلام ٨٣
أ. د/ جعفر عبد السلام ﷾ أستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية سابقًا.

دور التعليم واللغة في تحقيق الأمن المجتمعي ٩٣
أ.د/ عبد الله التطاوي، مستشار رئيس جامعة القاهرة للشؤون الثقافية

مخاطر الأمية على الأمن الاجتماعي ودور أئمة المساجد في معالجتها ٩٩
سماحة الشيخ / عبد الله بن خالد آل خليفة ﷾ رئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في مملكة البحرين سابقًا.

الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي ١٠٥
أ. د/ نصر فريد محمد واصل، عضو هيئة كبار العلماء، ومفتي الجمهورية الأسبق.

الوقف ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي ١١٣
أ.د/ فريد بن يعقوب المفتاح، وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، مملكة البحرين.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية
مروان حماد

متابعة
فريال فؤاد

المراجعة اللغوية
د. حسن أحمد خليل
سيد عبد المنعم

تصميم الغلاف
محمد بغدادي

الإخراج الفني
أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب / ٢٠٢١
ISBN